

أفضل نهج في إثبات الإسراء والمعراج

تأليف

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة المحقق

الشيخ عبد الله المراغي

مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف

الشيخ عبد الرحمن
مدير مكتبة دار

obeykandi.com

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي عرج به إلى المقام الأسمى وعلى
آله وصحبه أجمعين .

« أما بعد » فقد أظلمنا شهر رجب من سنة ١٣٦٧ هـ . فذكرني
بفكرة حول الإسراء والمعراج طالما ترددت في خاطري كما ذكرني بها
كل رجب مضى من بضع سنين . وكوددت أن تسمفني الفرصة لأنفاذ
هذه الفكرة مبسوبة في رسالة خاصة . . . وشاء الله أن يكون ذلك
فانبعث العزم لأخراجها . وفي زحمة العمل . وكثرة الشواغل . أخذت
أتلس الساعة أو الساعتين . لأفرغ لهذا المهم . حتى سهل الله ويسر .
ووفق وأعان . ولست أزعم أنني أوفيت على الكمال في هذا الموضوع
أو قلت فيه الكلمة الأخيرة . وإن كنت أرجو أن أكون قاربت
على الغاية . وأشرفت على النهاية . والكمال لله وحده . والمعصوم من
عصم الله ما

obeykandi.com

معنى كلمة الاسراء والمعراج

لفظ « الأسراء »

مصدر . وفعله أسرى . فيقال أسرى يُسرى إسراءاً . إذا سار ليلاً . هذه لغة أهل الحجاز . وغيرهم يقول « سَري يَسْري سُرى » وبالفتن جاء القرآن الكريم .
قال تعالى « سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً » .
وقال « والليل إذا يسر » .

وقال أبو إسحاق فى قوله تعالى « أسرى بعبده » . إن معناه سَير عبده . وأسراه وأَسرى به مثل أخذ الخطام وأخذ بالخطام . وإنما قال « ليلاً » مع أن السرى لا يكون إلا ليلاً . للتأكيد كقولهم سررت نهاراً . وقال أبو إسحاق سرى يسرى إذا مضى . وحذفت الياء من يسرى رعاية للفواصل . وقال غيره « والليل إذا يسر » أى سرى فيه كما يقال الليل نائم . أى ينام فيه .

والمقصود : هو الأسراء بالنبي محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بالشام .

ولفظ « المعراج »

عَلَم . والمعراج هو السُّلَّم . من العروج وهو الصعود . وقال صاحب

اللسان . عرج في الدرجة والسلم بَعْرُجٌ عُرُوجاً أى أرتقى . وعراج
في الشيء وعليه . يعرج ويعرج عروجاً أيضاً رَقِيَ . وعراج الشيء فهو
عَرَجٌ ارتفع وعلا . قال أبو ذؤيب .

كما نور المصباح للعجم أمرهم بُعَيْدَ رُقَادِ النَّائِمِينَ عَرَجٌ
وفي التنزيل « تعرج الملائكة والروح إليه » أى تصعد وفيه
أيضاً من الله ذى المعارج . قال قتادة ذى الفواضل والنعيم . والمعراج
السلم ومنه ليلة المعراج ويجمع على معارج ومعاريج مثل مفتاح يجمع
على مفاتيح ومفاتيح .

والمقصود « هو عروج النبي محمد ﷺ من بيت المقدس الذى هو
المسجد الأقصى إلى السموات إلى سدة المنتهى إلى مستوى سمع فيه
صريف الأقلام » .

فالأسراء والمعراج لفظان يطلق أولهما على سفر الرسول ليلاً من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى . وهو كما ترى سفر أرضى و يطلق ثانيهما
على عروج الرسول من المسجد الأقصى إلى الملائكة الأعلى حيث الكنية
الكرام وهو كما ترى سفر سماوى .

وسنفصل لك فيما سياتى ما قصد إليه من هذين اللفظين .

فمن الأسراء والمعراج

نحاول في هذا الفصل أن نجيب عن الأسئلة التي طالما رددوها السائلون وهي . هل كان وقت الأسراء والمعراج قبل البعثة المحمدية أو بعدها وهل كان قبل الهجرة أو بعدها ؟ وهل كان الأسراء والمعراج في ليلة واحدة أو كان الأسراء في ليلة والمعراج في أخرى ؟ وما هي ليلة الأسراء والمعراج على التعيين ؟ وفي أي شهر هي ؟ وما هو الزمن الذي استغرقه الرسول في إسرائه ومعراجه ؟ .

أسئلة تتوارد على الخاطر للباحث المدقق . ويوردها المحبون للاستفادة . وأرباب العقول المتطلعة . ولعل أوفق لأن أضع بين يديك ما يشفي وما يكفي في هذا الصدد :
هل كانا قبل البعثة ؟ : —

روى عن الحسين بن علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعين أن الأسراء والمعراج كانا قبل البعثة وهو بمكة يتعبدون ويتحنفون ونقل ذلك صاحب الكشاف في تفسيره . كما أورده القمخر الرازي . وهو قول قد يتكلف له أن الله سبحانه أجرى ذلك لسيدنا محمد ﷺ ليطلع به على ملكوته العظيم ! وقدرته الباهرة . وليدنيه منه . ويقربه إليه . ليكون ذلك إرهاباً ظاهراً لما سيتفضل به الله عليه وما يخصه به من الشرف العظيم . والأمر الكريم . أمر النبوة التي مصدرها الوحي والألهام وأمر الرسالة التي سيبلغها أهل الأرض عن رب الأرض والسماء .
فالأسراء والمعراج مقدمة لذلك . وأشارة صريحة من الله له قبل

أن يبعث نبياً ورسولاً . وليريه من آياته إنه هو السميع البصير . ولكن هذا تكلف ظاهر مهما روج له بما تقدم أو بمثل قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده » . ولو كان بعد البعثة لقال بنبيه أو رسوله .

نعم هذا تكلف يبعد عن الحقيقة بعداً شامعاً . غان الحسين بن على وأنس بن مالك . لم يكونا حينئذ شيئاً مذكوراً . وكان كلاهما لم يولد بعد . فأنى لهما بذلك . وما مصدرها فيه من كتاب أو سنة صحيحة . والذي أراه أن هذا القول مما وضع ونسب إلى غير أهله . وقول الله سبحانه « أسرى بعبده » لا يؤخذ منه أن العبد إسم لا يتلاقى مع النبي والرسول . حتى لا يصح أن يطلق على الرسول بعد البعثة . وهامى الألسنة لا تزال لاهجة بالدعاء والثناء فى الصلاة وغير الصلاة على نبيينا محمد عبد الله ورسوله ، على أن إضافة العبد لله إضافة تشريف وتكريم وتبجيل وتعظيم . حتى قال القائل .

وما زادنى شرفاً وتيمناً وكدت بأخصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبياً

ثم إن ما يعكز على هذا الرأى فرضية الصلاة ليلة المراج فهل تفرض عليه الصلاة قبل نبوته ورسالته . لا قائل بذلك . ويرده أيضاً . أن الرسول ﷺ . لما حدث قومه بذلك كذبه أعداؤه ومن فى قلبه مرض . وأخذوا يغمزون ويلمزون . وقد يكون كافياً فى إبطال هذا الرأى إبطالاً تاماً ما ثبت من الأحاديث الصحيحة التى

سنوردها في موضعها — إن شاء الله — وهي ناطقة بما يرد ذلك القول ويمنعه .

وأخيراً إذا كان الأسراء والمعراج قبل البعثة . وقد صاحبه جبريل في هاتين الرحلتين . فمن أي شيء كان فرق الرسول وخوفه وهو في غار حراء لما جاء جبريل وغطه حتى بلغ منه الجهد . وهو يقول له اقرأ . ومم تدثر ؟ . ومم تزل ، إنه كان يحمله فوجل منه . وما زال وجهه إلا بقول ورقة هذا هو الناموس الذي كان ينزل على موسى وعيسى من قبل . لا أحب أن أذهب أبعد من هذا في بيان ضعف هذا القول . وانتقل إلى بيان أن الأسراء والمعراج كانا بعد البعثة ؟
هل كانا قبل الهجرة أو بعدها ؟ —

ذهب بعض العلماء إلى أن الأسراء والمعراج كانا بعد الهجرة . مستدلاً بقول عائشة : « ما فقدت جسد رسول الله ﷺ » وقال إنه كان إسراء بالروح فقط مستنداً أيضاً إلى هذا الحديث . والذي يهمننا هنا إنما هو الرد على القول الأول . فأنا بصدد بيان زمن الأسراء والمعراج وتحديد وقته . وقد اتبع هذا الحديث الحفاظ وعلماء الرجال وبينوا ما فيه من دخل يسقط الاستدلال به . فسنده منقطع وفيه راو مجهول وقال ابن سريج إنه حديث موضوع . ونحن نقول كما قال الثقة من المؤرخين إن النبي ﷺ لم يدخل بها إلا بعد الأسراء والمعراج . بل صرح البعض بأنهما

كانا قبل مولدها . والقول بأنهما كانا بعد الهجرة ينافي صريح القرآن
الذي يقول « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى
المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »
فالنص صريح لا تأول فيه . وجاءت الاحاديث الصحيحة بذلك أيضاً
من أن الملك جاءه وهو في جوار الكعبة أو في بيت أم هانئ وكل ذلك
بمكة . اللهم إلا أن يكون أسرى به من المدينة الى مكة ثم أسرى به
من مكة الى بيت المقدس . وهو قول بعيد لم يقل به أحد فيما نعلم .
وليس بين أيدينا من المصادر ما يدل عليه . رغم مخالفته لظاهر النصوص .
وملابسات الأحوال . وحوادث القصتين كما سيتبين لك ذلك واضحاً
جلياً في موضعه إن شاء الله . ونزيدك هنا بياناً أن سورة الاسراء مكية
فكيف يكون الاسراء بعد الهجرة . وإذا خلاصنا من هذا كله إلى أن
الاسراء والمعراج كانا بعد البعثة وقبل الهجرة . فقد بقي علينا أن نعرف
هل كانا في ليلة واحدة أو كان الاسراء في ليلة والمعراج في أخرى .
يرى بعض العلماء أن الاسراء كان في ليلة ثم كان المعراج في أخرى
مستدلين برواية الحديث جاء في صحيح البخاري ومسلم عن طريق
شريك بن أبي نمر عن أنس . وبعد أن ساق فيه مساقه من الأخبار
قال في حديثه عن النفر الذين جاءوه في تلك الليلة من الملائكة « حتى أتوه
في ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه » وأورد في آخره
قوله « فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام » .

وقد رد قول هؤلاء بمنع سندهم واسقاط حججهم . بما يفيد أن الراوى عن أنس قد وهم وغلط وخالف الروايات الصحيحة الأخرى .

ومنشأ الوهم والخلاف ما جاء فى بعض الروايات : قال البخارى ومسلم يذكرا أن مجيء الملك : والبراق . والركوب . والمسير دون ذكر لبيت المقدس . وهذا يشير الى أن الاسراء والمعراج مختلفان من حيث الليالى خاصة وأن مسلماً فى صحيحه ينفرد برواية تجمع بين حوادث الأسراء والمعراج ويبدو منها الأمر كأنه موضوع واحد . أو رحلة واحدة . أو سفرة واحدة . ومن هنا نشأ الوهم الذى برز فى صورة هذا الخلاف فمن قائل إنهما كانا فى ليلة واحدة : ومن قائل غير ذلك :

ووجد القائلون بأن كلا منهما كان فى ليلة مستقلة ما يؤيد قولهم بعض التأييد . وهو أن الاسراء قد جاءت آيته فاتحة لسورة بنى اسرائيل بينما جاءت آيات المعراج فى سورة النجم وذلك إشارة الى تغاير الزمنين وقالوا أيضاً إن آية الأسراء لم تشر إلى المعراج من بعيد أو قريب كأنه أمر مستقل تمام الاستقلال ،

ومجموع هذه الأدلة لا يعين ما أرادوا ، ولا يقطع بحجية فيما ذهبوا اليه ؛ ويمكن أن يقال إن الاسراء عنوان عام يطلق على القصة من بدايتها إلى نهايتها فالمعراج تنمة وخاتمة غاية الأمر أن الآية أجمال قد فصل فى الموضع الآخر من القرآن ومن الأحاديث .

كما يمكن أن يقال إن العروج إسرائاً لأنه كان ليلاً كما يقول المخالف

وكما نقول نحن ووردت الآية بذكر الاسراء لفظا . لصدقه أيضا على العروج والراجع عندي ما ذهب اليه الجمهور من أنهما حدثا في ليلة واحدة أسري به من مكة إلى بيت المقدس . ثم عرج به إلى ما بعد صدره المنتهي كما يعطيه سياق الحديث - في مسلم .

وإذا كان الاسراء والمعراج قد حدثا في ليلة واحدة فما هي تلك الليلة ؟ ومن أي شهر هي ؟ وفي أي حقبة من حقب الزمن التي مرت على الرسول وهو بمكة .

يروى ثقة المؤرخين أن الأسراء والمعراج كانا بعد هجرة الرسول إلى الطائف . وقد عاد منها يشكو إلى الله ضعفه وهوانه على الناس . عاد إلى مكة التي آذته وطارده وكان فيها كالمستجير من الرمضاء بالنار . فكان إسرائه الله به إلى المسجد الأقصى ليريه القدرة العظمي . وأن الأمر لو كان أمر بلاد تأوى إليها وأنت عزيز مكرم . وترحل إليها وأنت سعيد قدير العين . لكان وسهل . ولكنه أمر رسالة يجب أن تبلغ . ودعوة يجب أن تذايع . وأن تصل إلى الأسماع . وأن تنتشر في جميع البقاع . لأنها رسالة التوحيد . ودعوة الايمان الذي سينتشر بسرعة البرق . وسيصل إلى السماء عاليا لأنه الحق .

إذاً كان الاسراء توجيها من الله لرسوله . وتعويضا له عما لحقه من أذى وإغفات من قريش بمكة . ثم من ثقيف بالطائف . ولهذا نرى

الرسول بعد إسرائه يعود الى سابق أمره . صابراً راضياً . واتخذ من سنة الأفق الذي أحاط به في إسرائه ومعراج . ما لفت نظره إلى وجوب الدعوة على نظام أوسع . وعلى دائرة أكبر .

فأخذ يعرض نفسه على القبائل عرضاً انتهى ببعة العقبة . التي جاءت بعد الاسراء والمعراج على التحقيق وتلا ببعة العقبة بقليل من الزمن هجرته إلى المدينة المنورة ومن هنا يظهر لك جلياً مكان الاسراء والمعراج من أطوار دعوة الرسول الأكرم . سيدنا محمد ﷺ .

وإذا تقرر أن الاسراء والمعراج كانا بعد البعثة فأنى أسرد هنا اختلاف العلماء في زمن الاسراء والمعراج ذلك الاختلاف الكبير والكثير معاً . فيرى البعض أنهما كانا بعدها بست سنين أو بخمسة . أو بعشر سنين وثلاثة أشهر . أو باثنتي عشرة سنة . أقوال . ويحكى الامام ابن حزم الاجماع على القول الأخير . وأنه لأجماع أنت تعلم درجته من القوة بعد ما ذكرت لك من خلاف العلماء وتغاير آرائهم في السنة التي حصل فيها . كما اختلفت آراؤهم وتباينت أقوالهم في الشهر الذي منه ليلة الاسراء والمعراج ، وفي تعيين هذه الليلة ، فالبعض يرى أن الاسراء والمعراج كانا في شهر ربيع الأول ، كما يرى البعض أنهما كانا في شهر ربيع الآخر ، وقيل أنهما كانا في ليلة من شهر رجب وقيل من رمضان وقيل من شوال ، أما عن الليلة فهي ليلة سبع وعشرين من هذه الشهور وقد جزم الامام النووي في شرح مسلم بأنها ليلة سبع وعشرين

من رجب ، ويرى ذلك أيضا الحافظ المقدسى ، وهذا القول هو المعتمد والمعول عليه في الأقطار الإسلامية اليوم .

واختلف في اسم الليلة التي أسرى فيها بالرسول ﷺ هل هي ليلة الجمعة ، أو ليلة السبت ، أو ليلة الاثنين ، تضاربت الروايات ، وبكل قيل ، والله أعلم .

بقي أن نتكلم على الزمن الذي استغرقه الرسول ﷺ في إسرائه ومعراجه ، هل كان ليلة بتمامها أو بعض ليلة .

الذي سجله التاريخ أن المشركين أنكروا عليه أن يقطع المسافة التي بينهم وبين القدس في ليلة وهم يقطعونها في أربعين ، بل قال المطعم ابن عدي « إن أمرك قبل اليوم كان أمراً يسيراً غير قولك اليوم ، وهو يشهد أنك كاذب ، نحن نضرب أكباد الابل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ، ومنحدراً شهراً ، أتزعم أنك أتيت في ليلة واحدة ؟ واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذي تقول قط » فقول المطعم هذا يشير إلى أنه سمع من الرسول أن الاسراء كان في ليلة بتمامها ، وأنكره في نفس المجلس الذي أخبرهم فيه النبي ﷺ بأمر الاسراء والمعراج ، ولو أن المطعم سمع منه أن الاسراء والمعراج كان في بعض ليلة لكان انكاره أشدّ ولسجل ذلك في كلامه ليكون أبلغ في الرد والاعتراض . والاحتجاج بهذا استدلالاً على أن زمنهما كان ليلة بتمامها غير قاطع ولا معين ، فقد يكون الاسراء في بعض ليلة ثم غفل المطعم في حديثه عن تعيين الشيء على

ما هو عليه لشدة الدهش الذي استولى عليهم من غرابة القصة ، ولما
في قلوبهم من مرض وعدم استيقان واطمئنان فمنهم من صفق ، ومنهم
من وضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً ، وأما الذين في قلوبهم إيمان
وبين أيديهم الكتاب ، فقد استيقنوا ولم يرتابوا ، وازدادوا إيماناً على
إيمانهم فقال أبو بكر « إني لأصدقه فيما هو أكثر من ذلك : أصدقته في
خبر السماء في غدوة أو روحة » .

وإذا تركنا قول مطعم وغير مطعم إلى قول الله سبحانه فأتانا نرى
بوضوح أن ذلك كان بقطع من الليل ، وقد تم الأمر في جزء يسير
لا يمكن تحديده على وجه الدقة ، فقول الله تعالى « سبحانه الذي أسرى
بعبد له ليلاً » يفيد ذلك فإن ليلاً منصوب على الظرفية ، أي أن الأسراء
كان ليلاً ، ولكن كل أسراء فهو بليل . فما فائدته بعد قوله
« أسرى » ؟ ، الفائدة هي التأكيد وبيان تقليل مدة الأسراء وزمنه ،
وعدم استغراقه لجميع الليل لما في التنكير من الدلالة على معنى التبعيض ،
ويؤيده قراءة (من الليل) وهذه القراءة معينة صراحة أن ذلك الأمر
حاصل في جزء من الليلة ، « ذلك تقدير العزيز العليم » وهو على
كل شيء قدير (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ،
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) .

﴿ الأسراء في القرآن الكريم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) .
هذه الآية من الكتاب الكريم تعتبر فاتحة سورة الأسراء التى تسمى أيضاً سورة بنى إسرائيل ، ولورود ذكر الأمرين فيها ، وهما أمران غريبان عجيبان ، يلفتان النظر ، ويستدعيان التفكير والتأمل ، وهى من السور المكية التى نزلت قبل الهجرة إلى المدينة المنورة ، إلا قوله تعالى : « وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك » إلى قوله تعالى : « واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً » فقد نزلت ثنائيتها فى المدينة ، وهذا يفاد منه أن حدوث الأسراء ونزول سورة الأسراء من الأمور التى حدثت فى الدور المكي .

وأنى أقف معك وقفات يسيرة قد تطول أحياناً عند كل كلمة من كلمات هذه الآية الشريفة لتتبين من خلال ذلك أمر الأسراء فى القرآن الكريم ، قوله تعالى : « سبحان » يعطى معنى التنزيه عن النقص ، والبراءة من كل مالا يتناسب مع الكمال الأقدس . وسبحان إسم من أسماء الأعلام . فهو علم يطلق على التسبيح الذى هو المصدر فيقال سبح لله يسبح تسبيحاً إذا نفي عنه العيوب والنقائص . وذلك لأن للكمال

طريقين ، أحدهما بالإيجاب والآخر بالنفي والسلب ، فإذا وصفت الله بحامده من الخلق والرزق والرحمة والعلم فقد حمدته وأثبتت عليه بما هو أهله . وأثبتت له أوصاف الكمال من جمال وجلال ، وأذا أبعدت عنه الشريك ، ونفيت الولد والوالدة ، والجور والبخل فقد سبحته وبرأته ونزهته . والله عز وجل متصف بكل كمال ، وهو سبحانه وتعالى أيضاً مبرأ من كل عيب أو نقص . وتصدير آية الأسراء بعلم التسبيح إعلام وإعلان من أول الأمر بأن الأسراء إنما هو بقدرة الله التي لا يلحقها نقص أو عجز . وإنما هو بأرادته المطلقة النافذة ، وإنما هو بعلمه وحكمته التامة البعيدة عن السفه والعبث ، وإنما هو بأمره النافذ الذي لا مرد له ، ولا تأخير فيه ، وإن أعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو القوى القدير والرسول صلوات الله عليه ما قال إن ذلك الأسراء من فعله أو بقوته . وإنما قال : « أسرى بي » كما قال ربه « سبحانه الذي أسرى بعبده » ومن كان هذا منتهي أمره ، فلا يصح أن ينسكرك عليه شيء من قوله فهو فعل الله « ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . وأسراء الله نبيه ليس أمر عبثاً حتى يلحقه النقص في أفعاله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، بل هو عمل له غايته ، وله سببه وعقلته ، وفائده وعائده مما سنبينه في حينه مفصلاً — إن شاء الله — وإذا كان الأسراء لحكمة ففاعله يجب أن ينزه عن العبث ، وأن يبرأ من العيب ، وأن ينفي عنه

كل نقص. « سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

والسبح في اللغة معناه التباعد ، قال تعالى : « إن لك في النهار سبحاً طويلاً » وهو مناسب لمقامنا هنا ، ومنه سبح في الماء إذا ذهب فيه وأبعد .

وجاء بمعان أخرى ، كالصلاة ومنه « فلولا أنه كان من المسبحين » أي المصلين ، وكالاستثناء بالمشيئة ومنه « قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون » أي تقولون إن شاء الله ، وكالبهاء ونور الوجه ومنه في الحديث « لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء » وقد تكلف بعضهم في رد هذه المعاني إلى المعنى الأول وهو التنزيه والبراءة ، وليس ذلك مقصودنا ، فلننتقل إلى ما نحن بصدده .

قال الفيومي صاحب المصباح المنير (سبحان) يكون بمعنى التعجب والتعظيم لما اشتمل الكلام عليه نحو « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً » إذ فيه معنى التعجب من الفعل الذي خص عبده به . وفيه معنى التعظيم بكمال قدرته . وهو منصوب على المصدر . غير متصرف للجودة . وقال الرازي صاحب المختار « سبحان » الله . معناه التنزيه لله . وهو منصوب على المصدر كأنه قال . أبرئ الله من سوء براءة .

وبعد هذا نعود إلى قول الله تبارك وتعالى « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً » ، الآية . لنبين النواحي الأخرى من موضوعنا هذا . وقد

بيننا في الفصل الأول عند تعرضنا لبيان معنى كلمتي الأسراء والمعارض أن أسرى وسرى لغتان وبهما جاء القرآن الكريم . وبيننا موضع ذلك منه . وبقى أن أزيد هنا ما ذكره صاحب لسان العرب من أن السرى سير الليل عامته . وقيل السرى سير الليل كله . والعرب تذكره وتؤثته . ولم يعرف اللحياني غير التأنيث . وسريت سرى ومسرى وأسريت بمعنى ، وقال العلامة أبو السعود « والأسراء السير بالليل خاصة كالسرى » . وقال العلامة الألوسي « والأسراء السير بالليل خاصة كالسرى فأسرى وسرى بمعنى وليست همزة أسرى للتعدي كما قال أبو عبيدة . وقال ابن عطية همزة للتعدي والمفعول محذوف أى أسرى ملائكته بعبدته » وقال الليث « يقال أسرى لأول الليل . وسرى لآخره . وأما سار فالجمهور على أنه عام لا اختصاص له بليل أو نهار وقيل إنه يختص بالنهار وليس مقلوبا من سرى » . (بعبدته) والأجماع على أن المراد بالعبد هنا محمد عليه السلام لما ورد من أبي القاسم سليمان الأنصارى أنه لما وصل صلوات الله عليه إلى الدرجات العالية . والمراتب الرفيعة . أوحى الله تعالى إليه « يا محمد بم أشرفك » ؟ قال يارب بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية . فأنزل الله فيه « سبحانه الذي أسرى بعبدته » . أصبت وصدقت يا رسول الله . فالعبودية المضافة إلى الله أشرف الأوصاف . وأعلى المراتب . دون الوصول إليها بذل الجهود . وأفراغ الجهود . والجدود بحرية النفس وهو أسعى غاية الجدود . فإذا كان الجدود لله فهو

صفحة رابحة . في الدنيا والآخرة . ولهذا قال صلوات الله وسلامه عليه
قولوا « عبد الله ورسوله » . وهو مانع من الغلو فيه ﷺ كما وقع
لنصارى الذين غالوا في عيسى فعبدوه وألهوه وجعلوه ابن الله فاشركوا
وضلوا ضلالا بعيدا . ورحم الله البوصيري حيث يقول :

دع ما أدعته النصارى في نبيهم وأحكم بما شئت مدحا فيه وأحكم
فإن فضل رسول الله ليس له حسد فيعرب عنه ناطق بقم
وإنا لنجد أهل الحب يفتخرون بالعبودية لمحبوبهم . ويرون
اسم العبد أخف الأسماء على ألسنتهم . وأحبه إلى قلوبهم أنظر إلي
أحدهم وهو يقول :

بالله إن سألك عنى قل لهم عبيدى وملك يدى وما أعتقته
وأضافة العبد إلى الله بيان لتمحضه وإخلاصه فى عبادته وعبوديته
لله رب العالمين لا شريك له . والعبد يطلق على الإنسان باعتباره كلاً
فلا يطلق على الروح وحدها . ومن هنا تمسك القائلون بأن الأسراء
كان بالجسد والروح . وسنيسط الكلام فى ذلك إن شاء
الله بعد حين ،

« ليلا » ظرف للفعل قبله أى أن الله أسرى ملائكته بعبده فى
ليل ، وهو نكرة منون للتقليل والتبعض ، وقراءة عبد الله وحذيفة
« من الليل » تؤيده - أى أن أسراءه وقع فى بعض الليل ،
وكان الأسراء ليلا لما جرت به الأحوال من أن الحبيب يسمى إلى

محبوبه في الخفاء ، تحت جنح الظلام ، فالليل نهار المحبين ، والقمر
شمس العارفين ، والنجوم منارات السالكين ،

وإذا تركنا هذا الأسلوب الصوفي في التعليل ، إلى دنيا الناس
والحياة الواقعة ، وجدنا أن الليل وقت الإنفراد والإختصاص والأختلاء
ومجالسة الأكابر والإحتفاء بهم ، ولا يكاد المرء يدعو إلى حضرته ليلا
إلا من كان به حفيا ، وعنده أثيرا ، والتاريخ يحدثنا أن الليل كان
الزمن الذي أجريت فيه عظام الأمور ، وأن لله فيه على أوليائه
وأصفيائه كرامات ومكرمات ، ثم هو للسفر أسهل وأيسر ويقطع
فيه المسافر مسافات شاسعة لا يقطعها المسافر بالنهار إلا في عسر ومشقة .
ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (عليكم بالدجّة فإن الأرض تطوى بالليل)
وقال ابن الجوزي في ذلك «إن النبي ﷺ سراج والسراج لا يوقد
إلا ليلا ، وبدر وكذا مسير البدر في الظلم»

(من المسجد الحرام) بالرغم من هذا التحديد لنقطة الإبتداء في الأسراء
فقد اختلف المفسرون في تعيين المكان الذي ابتداء الرسول منه السرى ،
فقال بعضهم هو المسجد الحرام ذاته ، وهذا يدل عليه ظاهر اللفظ وما
يتبادر منه لأول وهلة بادي الرأي ، وقال البعض إن الأسراء ابتداء
من الحجر عند الكعبة ، وهو قريب من القول الأول الملائمة
والجاورة بين المكانين ، والقائل بهذا يستند إلى قول النبي ﷺ « بينا
أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني

جبريل . .) الحديث ، وفي رواية « بينا أنا في الحطيم .. »
وقال آخرون أسري به من دار أم هانيء بنت أبي طالب والقائلون
بهذا يؤولون لفظ الآية قائلين إن المراد بالمسجد الحرام الحرم كله ،
لأحاطته بالمسجد والتباسه به ، وهذا مجاز علاقته المجاورة .
وعن ابن عباس « الحرم كله مسجد » ويدخل في حدوده تلك
الدار ، وهذا الرأي الأخير هو رأي الجمهور ، فقد أخرج النسائي عن
ابن عباس وأبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الكبير من حديث أم هانيء
أنه ﷺ كان نائماً في بيتها بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته
وقص القصة عليها .

وفي بعض الآثار أيضاً أن أم هانيء قالت « فقدته ﷺ وكان نائماً
عندي فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قریش ،
وتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل العباس إلى ذى طوى ،
وهو ينادى يا محمد ، يا محمد ، فأجابه ﷺ فقال يا ابن أخي أعيت
قومك ، أين كنت ؟ قال ذهبت إلى بيت المقدس » قال « من ليلتك ؟ »
قال « نعم » قال « هل أصابك إلا خير » ؟ قال « ما أصابني إلا خير » .
ويمكنني الجمع بين هذه الروايات والأقوال لأن الرسول كان نائماً
في بيت أم هانيء ثم انتقل إلى المسجد الحرام عينه عند الحجر والحطيم ،
وظل في مكانه الأخير بين النائم واليقظان ثم كان إسراؤه وركوبه من
باب المسجد الحرام ، حيث ابتداء الاسراء به ، وهذا ما أراه فقد أخرج

الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن
صعصعة قال : « قال رسول الله ﷺ بينا أنا في الحجر وفي رواية في
الحطيم بين النائم واليقظان إذ أتاني آت فشق ما بين هذه إلى هذه
فاستخرج قلبي ففسله ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار
أبيض يقال له « البراق » فحملت عليه . . . » الحديث وفي بعض
الروايات أنه جاءه جبريل وميكائيل عليهما السلام وهو مضطجع في
الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر فاحتملته الملائكة عليهم السلام .
وجاءوا إلى زمزم فألقيوه على ظهره وشق جبريل صدره من ثغرة نحره
إلى أسفل بطنه بغير آلة ولا سيلان دم ولا وجود ألم . ثم قال
لميكائيل إيتني بطست من ماء زمزم فأتاه به فاستخرج قلبه الشريف
وغسله ثلاث مرات ثم أعاده إلى مكانه وملاه إيماناً وحكمة وختم عليه
ثم خرج به إلى باب المسجد فاذا بالبراق مسرجاً مائجماً فركبه
ومن هذا يتبين لك طريق الجمع بين تلك الأقوال كما يتبين صحة ما ارتأيناه .
وهو المناسب واللائق . فأن ركو به البراق وتحركه به يعتبر بدء الأسراء
ومكان ذلك باب المسجد كما تظاهرت الروايات وفي العادة أن الإنسان
إذا انتقل من داره إلى المكان الذي توجد فيه العربات أو القطارات ،
أو الطائرات ، أو دواب السفر . ثم أركبه صديق إحداهم ليزور بقية الأصدقاء
في بلد آخر ، لا يقال إنه سافر من داره وإنما يقال سافر من مكان ركو به وكذلك

الحال هنا ، وركوب الرسول دابة الأسراء من باب المسجد أمر تحكم به العادة أيضاً ، ويجرى عليه الألف والعرف ، فليس بألوف أن تدخل الدابة المسجد ولا الحجر ولا الحطيم ، كما أنه ليس بمعتاد أن يعتلى ظهره ، ويبتدأ به سفر من داخل تلك الأماكن المقدسة ، إنه على الأقل يعد انتهاكاً لحرمتها ، وخروجاً على قداستها؛ والقول بذلك في نظري بعيد عن الصواب ، ولكنه الخلاف الذي كتب له أن يكثر وأن يتكرر في أجزاء قصة الأسراء والمعراج بنوع خاص كما رأيت وكما ستري - إن شاء الله - حتى ليكاد المطلع لا يجد موقفاً من مواقف القصة إلا وفيه خلاف بين الباحثين قديمهم وحديثهم ، وسافهم وخلقهم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، (و بعد) فقد طال بنا الطواف حول المسجد الحرام ، وقطعنا ما تيسر لنا من أشواط البحث والنظر فلننتقل . (إلى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس ببلاد الشام وبينه وبين المسجد الحرام مسيرة أربعين ليلة على ما حدده بعضهم وحدده المصنف ابن عدي بشهر مصمداً أي ذاهباً ، وشهر منحدراً أي آيياً ؛ ولعل الاختلاف راجع إلى اختلاف الليالي طولا وقصراً بحسب الفصول ، فليل الشتاء طويل وليل الصيف قصير ، وسمي « بيت المقدس » بالمسجد الأقصى ، لهذا البعد الشاسع بين الحجاز والشام فعني الأقصى الأبعد ؛

وقال ابن عطية « يحتمل أن يراد بالأقصى البعيد دون مفاضلة بينه

وبين ما سواه ؟ وهو بعيد في نفسه للزائرين « ومعنى قول ابن عطية أن « أقصى » أفعل تفضيل على غير بابيه ،

وكان الإسراء إلى بيت المقدس دون غيره من الأماكن لما شرفه الله به من زيارات الرسل والأنبياء السابقين له كما جاء في بعض الآثار ؛ ولإقامة أكثرهم حوله وبهذا الإسراء والمعراج يكون الرسول قد جمع فضلا إلى فضل ، وضم المجد من من أطرافه ، وحصل على ما لم يحصل عليه نبي أورسول قبله من زيادة في الفضل ، وعظم في التكريم ؛ وعلو في الدرجة ولعل من أنسب الأقوال وأصدق التعليقات أن نهاية الإسراء كانت بيت المقدس لأنه بيت وليت شطره الوجوه في الصلاة وصلى به الأنبياء قبله ومشوا في رحابه ، فالأنسب لخاتم النبيين ، وأفضل المرسلين ، أن يكون مسراه إليه ، ليتعرف عليه ولينال ما نال الأنبياء قبله من شرف هذه المعرفة « قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي » ولماذا نذهب مع القائلين والمعللين كل مذهب وفي نفس الآية الكريمة . ما يعتبر علة صحيحة ، وميزة واضحة صريحة لبيت المقدس جعلته أهلاً لأن يكون الإسراء إليه ؛ فقد قال تعالى في محكم كتابه « الذي باركنا حوله » ، فالمسجد الأقصى في بقعة مباركة ، ونقطة من الأرض طيبة ، وهو مركزها الثابت ، وقطب رحاها التي تنزل على ما يحيط به ويمجاوره نعم الله السابعة ،

وأفضاله المتكاثرة، ورحماته المتواترة، ومكان هذا شأنه يجب أن يتسامى في الوصول إليه الركب .

وأن تشد إليه الرحال ، وأن يكون قبلة الزائرين ، ومحط الطالبين لرحمة الله ، وفضل الله ، وبركة الله ، هذا هو ما أراه ، وهو قيس من كتاب الله .

والبركة هي الزيادة والنماء ، قال الجوهري — في صحاحه — ويقال بارك الله لك وفيك وعليك وباركك ، وقد بارك الله حول بيت المقدس ببركات لا تحصى ، ونعم لا تعد ، سواء أكانت دينية أم دنيوية ، فالصلاة فيه مضاعف ثوابها ، زائد أجرها كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة ، وهو جزء من الأرض حرام مقدس ، طاهر عامر بآثار الأنبياء ومخلقات الرسل وكرامات الله للأولياء ، تعبد فيه موسى ، وساح في حرمة عيسى ، وخدمته ابنة عمران « فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسناً » وعند هذا البيت كان يهبط الوحي ، وتنزل الرسالات ؛ ويتفضل الله بالنبوات ، وتكلم الملائكة أهل الأرض من فوق السموات ، مجيبة دعاء الداعين ، وملبية نداء الطالبين (هنالك دعا ذكراً ربه : قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحوراً ونبيّاً من الصالحين * »

والصلاة فيه مضاعفة لما أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه عن

ميمونة مولاة رسول الله ﷺ « أنها قالت يا نبي الله أفنتنا في بيت المقدس قال أرض المحشر والمنشر أنتوه وصلوا فيه فأن صلاة فيه بألف صلاة » وفي رواية لأحمد عن بعض نسائه عليه الصلاة والسلام أنها قالت يا رسول الله فأن لم نستطع إحداً أن تأتيه « قال « إذا لم نستطع أحداً كن أن تأتيه فلتبعث إليه زيتاً يسرج فيه ، فأن من بعث إليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه » وروى بعض هذا الحديث أبو داود ، وهو ثاني مسجد وضع في الأرض لخبر أبي ذر « قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال « المسجد الحرام » قلت « ثم أي » ؟ قال « المسجد الأقصى » قلت « كم بينهما » ؟ قال « أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فأن الفضل فيه » وقد أسسه يعقوب عليه السلام بعد بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة كما ذكر في حديث آخر وجدده سليمان أو أتم تجديده أبيه عليهما السلام «

ولنعد إلى الآية الكريمة ، قال تعالى « لنريه من آياتنا » والآية هي العلامة أي لنريه بعض علامتنا الدالة على كمال قدرتنا ، وأراه الله بعض الآيات والعلامات ؛ في إسرائه لأنها لا تتناهي ولا تقف عند حد ، ولكن كيف والله يقول « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » وقد فضل الله رسوله محمداً على النبيين ورفعه درجات ؟ وأجيب عن ذلك بأن بعض الآيات المضافة إليه تعالى أشرف وأعظم من ملكوت السموات والأرض ، كما قال تعالى « لقد رأى من آيات

ربه الكبرى » . وقال الخفاجى السؤال غير وارد لأن ما رآه ابراهيم عليه السلام هو ما فيها من الدلائل والحجج وليس ذلك مقاوما لما هنا من الاسراء والمعراج » . وقال الألوسى « لنريه من آياتنا » أى لنرفعه إلى السماء حتى يرى ما يرى من العجائب العظيمة . فقد صح أنه عرج من صخرة بيت المقدس . واجتمع فى كل سماء مع نبي من الأنبياء عليهم السلام فكأنه يرى أن الآية للاسراء والمعراج معا ولكنه يقول أخيراً « ليست الآية نصاً فى المعراج بل هى نص فى الاسراء دونه إذ يجوز حمل بعض الآيات على ما حصل له ﷺ فى الاسراء فقط ، بل قال بعضهم ليس فى القرآن مطلقاً ما هو نص فى ذلك الخروج ومن هنا قالوا الاسراء إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتاب فمن أنكره فهو كافر ، والمعراج ليس كذلك فمن أنكره فليس بكافر بل مبتدع . وكأنه سبحانه لم يصرح به كما صرح بالاسراء رحمة بالقاصرين - على ما قيل - » : ونقول إن المعراج ثابت بالسنة صراحة على لسان الصادق الذى لا ينطق عن الهوى « إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى » ولذلك موضعه الآتى قريباً - إن شاء الله - وإن كانت الآيات التى وردت فيه يمكن تأويلها إلى رأى المخالف .

وقوله تعالى « لنريه من آياتنا » بيان لعلة الاسراء وسببه والغاية منه ، فهو متعلق بقوله « أسرى » ، فالاسراء اقتضته الحكمة ، واستلزمته المصلحة ، فليس أمراً عبثاً ، وقد رأى الرسول صلوات الله عليه

في إسرائئه من الآيات الدالة على قدرة الله ما يبهز النفوس ، ويدهش العقول ، رأى دابة البراق تطوي به الأرض طيا كالبرق الخاطف تضع حافرها اذا سارت في نهاية امتداد بصرها ، فيذهب إلى بيت المقدس ويعود إلى مكة ومكان نومه لم يفقد بعد حرارته فكان ذاك أمانة ظاهرة على وجازة المدة ، وشدة السرعة . ورأى تأييد الله له وتكريمه إياه ، وإحاطة الملائكة بركابه ، كما رأى قوماً يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كانت ، فقال ياجبريل من هؤلاء ، فقال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعمئة ضعف .

ورأى قوما على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم رباً كلون الضريع والزقوم فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم .

ورأى رجلاً في نهر من دم يلثم الحجارة فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا مثل أكل الربا .

رأى من الآيات ما رأى مما سنفضله بعد في مكانه من الحديث والقصة حتى دخل مدينة القدس من الباب اليماني وذهب إلى المسجد الأقصى . وليس في الآية ما يدل صراحة على أنه دخله ، فان حرف (الى) في قوله تعالى « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ... » إنما يدل هنا على انتهاء الغاية فدلّول

قوله « الى المسجد الأقصى » أن الرسول صلوات الله عليه وصل إلى حد ذلك المسجد ، فأما دخوله أو عدم دخوله فليس في لفظ الآية ما يدل عليه ، وإنما وردت بدخوله الآثار والأحاديث ، وقد جاء في بعضها أنه نزل عن براقه ودخل المسجد فوجد فيه الانبياء والمرسلين ، وصلى بهم إماما بسورة « قل يا أيها الكافرون » و « الاخلاص » وهم سبعة صفوف وليس في الآية ما يدل على أنه رأى ربه ليلة الإسراء فالنص « لنريه من آياتنا » ولا يصدق على ذاته تعالى أنها آية من آياته ، فالآية أثر الذات ودلائلها التي تدل عليها ، ولهذا لم يتمسك بها المثبتون لرؤية الله (إنه هو السميع البصير) وفي كون الضمير للغيبة التفات في الخطاب وتنوع في النسق ليجذب الانتباه ، ويسترعى السمع ، وقد بدئت الآية بضمير الغائب كما ختمت به ليوافق الختام البدء ، وثنى فيها بضمير المتكلم المعظم نفسه « باركنا ، نريه ، آياتنا » ليدل ذلك على أنها بركات عظيمة ، وآيات كريمة ، فكما يدل الضمير على تعظيم الذات يدل على تعظيم ما أضيف إليها . والضمير في « انه » وفي « هو السميع البصير » أعاده بعض المفسرين على الله وهو الاظهر والمتبادر . وأغرب بعضهم فجعل الضمير عائداً على الرسول المسرى به صلى الله عليه وسلم . ونقل ذلك أبو البقاء عن قائله وفسر الجملة بأن الرسول سميع لأقوالنا . بصير بذواتنا . ليس أصم ولا أعمى . حتى ينكر عليه ما رأى وما سمع . فليحذر المعارضون هذه المسكوبة فيما أحس بحواسه السليمة القوية وقال الجلبى « إن هذا

القول لا يبعد والمعنى عليه إن عبدى الذى شرفته بهذا التشریف هو
المستأهل له فإنه السميع لأوامرى ونواهى . العامل بهما . البصير الذى
ينظر بنظرة العبرة فى مخلوقاتى فيعتبر . أو البصير بالآيات التى أريناه
إياها « ما زاع البصر وما طغى » ولا يمتنع إطلاق السميع والبصير
على غيره تعالى .

ومع ما فى هذا القول من شىء غير قليل من الوجاهة فأنا تؤثر عليه
القول بعود الضمير على الذات الأقدس ، لظهوره ومناسبته للسياق ،
وهو أبلغ فى التحذير والتخويف ، إذ لما كان الله سميعاً بصيراً ، فهو
لأشك يعلم ما يقولون وما يفعلون ، وهو لأشك معاقبهم على أقوالهم
الكاذبة ، وأفعالهم الخاطئة فليمسكوا عن العناد والتكذيب فى أمر
الإسراء ، وليقروا بصدقه تاركين الجدل والمراء .

(المعراج في القرآن الكريم)

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنى فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى)
صدق الله العظيم

هذه الآيات فاتحة سورة «النجم» وهي مكية، ومن الغريب ما حكى عن الحسن من القول بأنها مدنية ، ويقول العلامة الألوسي ولا أرى صحة ذلك عنه أصلاً ، فهي مكية ولا خلاف في ذلك ، كسورة الإسراء السابقة ، وسميت سورة النجم لافتتاح الله فيها بالقسم به حيث قال عز من قائل «والنجم إذا هوى» والنجم جنس يقال على كثيرين، وقيل هو نجم واحد بعينه وهو الثريا وقد أطلق علماء على سبيل الغلبة عليها ، والقول الأول محكى عن الحسن ومعمربن المثنى ، والثاني عن مجاهد وسفيان ، وقال ابن عباس إنه المقدار النازل من القرآن ، ومعنى

إذا هوي أى إذا نزل من السماء ، وقال جعفر الصادق رضوان الله عنه
النجم هو النبي ﷺ وهو به نزوله من السماء ليلة المعراج

والأظهر والمختار هو الرأى الأول وعليه أكثر المحققين ، وأقسم الله
تعالى بالنجم لأنه يهتدى به فى الظلماء إلى الطريق الموصل للمطلوب
« ما ضل صاحبكم وما غوى » والضلال هو المدول عن طريق الحق
إلى طريق الباطل ، والمراد بصاحبكم هو النبي ﷺ والغواية والغى الجهل
مع اعتقاد فاسد ، فهو أخص من الضلال ، والمعنى أقسم بالنجم عند
نزوله وغرو به ما عدل النبي محمد عن طريق الحق والصواب وما أصابه
جهل أو اعتنق مبدأ فاسداً ، والضلال ضد الهدى ، والغى ضد الرشد
فكان الله سبحانه يقسم بالنجم الذى يهتدى به السالك فىه إلى ذلك
من أمره رشداً ، أن رسوله موصوف بالهدى والرشد ، ومن هذا وصفه
يكون محمود السيرة ، ومن اقتدى به اهتدى ، فلا يصح أن يخاف أو
يقاوم ، أو يكذب ، أو يعارض

والخاطبون فى قوله « صاحبكم » قرش وجعل أصحاباً لهم مع أنهم
أعداؤه وخصومه الألداء ، لأنهم يعرفون منه ما يعرف الصاحب من
صاحبه ، فهم محيطون علماً بما عليه الرسول من محاسن الأخلاق ومحامد
الحصال ، وشريف الفعال ، كما يحيط الصاحب علماً بصفات صاحبه ،
سئل أبو جهل عن رأيه فى خلق محمد فقال « والله إن محمداً لصادق .
وما رأيت محمداً ككذب قط » ولكنه العناد والاصرار على ما هم عليه من

ضلال وغواية ، فأعماهم ذلك ومنعهم من الاهتداء بنجمه ، والسير على
سمته وضوئه ، وفي ذلك إقامة للحجة عليهم ، وقطع لمعذرتهم ، وإشارة
إلى سوء رأيهم ، وقبح أمرهم ، يعرفونه وينكرونها ، ويصاحبونه
ويخاصمونهم ، ويصادقونه ويكذبونه ، وهو أيضاً « ما ينطق عن الهوى »
فلا يصدر نطقه بالقرآن عن شهوة في نفسه ، أو رغبة عنده حتى يتطرق
إليه شك أو ريبة ، وما يتكلم بالحديث عن رأيه الشخصي « إن هو
إلا وحي يوحى » فما الكلام الذى يقوله من عند نفسه بل هو من
عند الله يوحى إليه ويلقيه في روعه فيفيض من بيانه ، وينفض به إلى
من أمر بابلاغه ، فليس له من الأمر شيء ، إلا التبليغ ، وكل ماجرى
به لسانه فمن عند الله تنزيل من عزيز حكيم ، وقد استدلل بهذه الآية
القائلون بأن الرسول لا يجوز له أن يجتهد ، فإن الله سبحانه قد أخبر
بأن جميع ما ينطق به وحي ، وما كان عن اجتهاد لا يسمي وحياً ،
ومن القائلين بذلك أبو على الجبائي المعتزلى ، وأبو هاشم ابنه وهو من
المعتزلة أيضاً ، ومن المخالفين لهذا القول الامام أحمد وأبو يوسف رحمتهما
عليهما ، فإنهما يريان جواز اجتهاده عليه السلام ، وقصرا الآية هنا على القرآن
الذى انعقد الاجماع على أنه لا اجتهاد للرسول في لفظه « إن هو إلا
وحي يوحى » ، ولكن الخلاف في غير القرآن مما ينطق به من أحاديثه ،
هل ذلك أيضاً « إن هو إلا وحي يوحى » فلا اجتهاد له فيه ؟ أو ذلك
ليس وحياً يوحى بل هو متروك لاجتهاده وتصرفه ؟ على الاول أبو على

وابنه وعلى الثانى الامام ابن حنبل والشيخ أبو يوسف ، وهما بداهة لا يقولان بأن ما ينطق به صلوات الله وسلامه عليه مما أدى اليه اجتهاده صادر عن هوى النفس وشهوتها ، وإنما يقولان هو فى وضع يبيح له الاجتهاد بما يتفق والمصلحة العامة والآية جواب عن سؤال مقدر ، كأن قائلًا يقول ، إذا كان النبي لا ينطق عن الهوى فما هذا القرآن الذي جاء وخالف فيه ما عليه قومه ، واستمال به قلوب كثير من الناس وكثرت فيه الأقاويل ؟؟

فقل « إن هو إلا وحى يوحى » اليه من الله عز وجل ولم يكن من عند نفسه ، « علمه شديد القوى » وهو الوحى الأمين ، جبريل عليه السلام أرسله الله تعالى إليه ليعلمه القرآن ، كما قال ابن عباس وقتادة ، وجبريل ملك كريم آتاه الله قوة عظيمة مكنته من أن يحمل قرى قوم لموط على جناحه ويصعد بها إلى أجواز الفضاء ، ويقلبها حتى جعل عاليها سافلها ، وصاح صبيحة واحدة على ثمود فأصبحوا فى ديارهم جائعين ، وكان ينزل من السماء الى الأرض فى برهة وجيزة يحمل رسالة ربه إلى أنبيائه ورسله ، ويبدى الخوارق والمعجزات ، وهكذا لم يكن جبريل عليه السلام شديدًا فى ناحية واحدة من نواحيه ، وإنما كان شديد القوى جميعها ، قال فيها لاستغراق جميع أفرادها سواء أكانت قوى مادية أم معنوية ، جسدية أم عقلية ، فهو أيضاً « ذو مرة » أى صاحب حصافة فى عقله ، وقوة فى رأيه ، واستحكام فيما يدبر ، والعرب تقول لكل قوى

العقل والرأى هو ذو مرة ، وهو مأخوذ من أمررت الحبل إذا أحكت قتله ، ولهذا قال سعيد بن المسيب ، ذو حكمة لأن كلام الحكماء متين ، وقال ابن عباس ذو شدة في أمر الله ، وقال الطبري ذو منظر حسن ، والمرة في قول الرسول ﷺ « لا تحمل الصدقة لأغنى ولا لذى مرة » بمعنى القوة ، وقال الرازي في المختار المرة القوة وشدة العقل ، ورجل مريز أى قوي ذو مرة ، (فاستوى) والاستواء هو اعتدال الشيء في ذاته وهو بمعنى الاستقامة ولزوم الصواب ، ومنه استوى العود إذا اعتدل ، واستوى الزرع إذا نضج ثمرة ، والمعنى المتبادر أن الرسول عليه الصلاة والسلام علمه جبريل وهو على صفات تورث الخوف والرعب فهو شديد القوى الجسدية والعقلية شدة متناسبة متناسقة ، فقواه متعادلة في قوتها ، متساوية في درجتها ، لا تطفئ إحداها على الأخرى فلا تزيد هذه بمقدار ما تنقص تلك ، وقيل استوى بمعنى اعتلى وارتفع وهى معطوفة على علم ، ويكون للمعنى ارتفع جبريل إلى السماء بعد أن علمه .

والظاهر من اللفظ هو المعنى الأول فاستواء جبريل معناه أنه استقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها ، وهى صورة تورث الرهبة والفرع ولم ير أحد من الأنبياء جبريل على هذه الصورة إلا محمد ﷺ فقد بدا بها للنبى ﷺ عند حراء في بدء النبوة وبدا له على هذه الصورة مرة أخرى ليلة الإسراء والمعراج (وهو بالأفق الأعلى) وذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بالموصوف في « علمه شديد

القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، إنما هو الله تعالى وقال الفراء والطبري إن « هو » عطف على الضمير المستتر في استوى وهو عائد الى النبي ﷺ وفيه العطف على الضمير المستتر المرفوع من غير فصل وهو مذهب السكوفيين ، وقول الفراء والطبري على سبيل الجواز فهما يجوزان العكس وهو أن الضمير عائد إلى جبريل كما هو رأى البعض ، والأفق الأعلى هو السماء والمقصود به الجهة العليا المقابلة للناظر ، وأصله الناحية ، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس أنه هنا مطلع الشمس ، ورأى ابن عباس هذا قريب من قول الحسن الأفق الأعلى أفق المشرق ، والواو للحال فكان المعنى رأى النبي ﷺ جبريل على صورته الحقيقية والحال أنه في السماء « ثم دنا » وقرب من النبي ﷺ « فتدلى » وتعلق عليه السلام في الهواء نازلاً من علوه كما تتدلى الدوالي من العنب ودوالي العنب عناقيده تسترسل إلى أسفل متدلية عالقة بأصلها ، وكذلك كان تدلى جبريل عليه السلام من الأفق الأعلى ، وزاده المتدلي دنوا واقترباً من النبي ﷺ (فكان) جبريل على مسافة قريبة منه (قاب قوسين) أى مقدار قوسين ، فالقاب المقدار ، وتوضحه قراءة « قدر قوسين » وكان العرب يقولون ذلك لبيان المسافة القريبة . كما كان ذلك من معاييرهم ومقاييسهم ، فكما تقاس الأبعاد بالذراع والرمح تقاس كذلك بالقوس .

وقيل إن ذلك ليس بياناً للمسافة وقربها ، وإنما هو إشارة إلى الاتحاد

والإتلاف فجبريل دنا فتدلى تقرّباً إلى الرسول وتحبباً إليه حتي وصل إلى مطلوبه ومرغوبه .

وكان العرب يصفون المتحالفين والمتحايين بأنهما قاب قوسين (أو أدنى) وأولئك ممن يراها فيقول شاكا هما قدر قوسين أو أقرب من ذلك لصغر المسافة واقتراب المكانين (فأوحى) جبريل أو الله (إلى عبده) وهو محمد ﷺ عبد الله ورسوله (ما أوحى) جبريل إليه من آيات الله والحكمة الدالة على العقائد والعبادات، ولم يعين الموحى به بل أبهمه للتعظيم والتفخيم كقوله تعالى « فغشيهم من اليم ما غشيهم » وقيل ضمير أوحى الأول والثاني لله تعالى والمراد بالعبد جبريل عليه السلام ، وقد ورد في القرآن لفظ العبد للأنبياء والرسل قال تعالى « سبّحان الذي أسرى بعبده » والمراد سيدنا محمد ﷺ ، وقال « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب » وقال « واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار » وقال « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده » والمراد سيدنا محمد كما في قوله « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب » وهذا يؤيد أن يكون المراد من العبد هنا سيدنا محمد ﷺ لاجبريل، وقد بينا في آية الاسراء منزلة العبد من التشريف ، ودرجته من التكريم ، وأنها منزلة لا تليق إلا بالخالصين المخلصين لله رب العالمين (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما) ، والموحى به وإن كان

مبهماً للتعظيم كما رأينا ولكنه فسر بفرضية الصلوات الخمس وأجرها عنده تعالى وأن الحسنة بعشر أمثالها وغير ذلك مما أكرم به الله تعالى به ليلة الاسراء والمعراج والموحى بذلك هو الله تعالى لرسوله من غير وساطة ملك أو غيره فوعاه الرسول وحفظه ، وعلمه وعرفه « ما كذب الفؤاد ما رأى » وفي قراءة « ما كذب » بالتشديد أى ما كذب فؤاد محمد ﷺ شيئاً مما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام وهو بالأفق الأعلى ، فقد عرفه بقلبه ، ورآه بعيني بصيرته وبصره ، وقيل ما كذب الفؤاد ما رأى البصر ، بل صدق الخبر الخبر ، فعالم الروح والملسكوت يدرك بالقلب أولاً ، وبالبصر لأهل المشاهدة والكشف ثانياً ، وهذا ليتحقق من صاحب الوحي ، ويتأكد منه ، ليثق به ، ويتعرف عليه ، ولهذا كان لا يشك الرسول في أنه هو الوحي الأمين جبريل ، مهما اختلفت أشكاله ، أو تغيرت صورته ، فقد رآه بصورته الحقيقية ، فعرفه حق معرفته ، فلا يشتبه عليه ، ولا يرتاب فيه ، سواء كان في صورة دحية أو غير دحية ، فعلمه الله ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً ، (أفتمارونه علي ما يرى) أنكذبونه فتجادلونه فيما رآه وأبصره ، والمراء هو الجدل وغمط الحق وجعده وانكاره والمارة المجادلة. قال صاحب المصباح « ويقال ما ريته أيضاً إذا طمنت في قوله تزيفاً للقول وتصغيراً للقاتل ولا يكون المراء الا اعتراضاً بخلاف الجدل فانه يكون ابتداءً واعتراضاً ، وامترى في أمره شك والاسم المرية بالكسر » وقال شهاب الدين الألوسي

« واشتقاقه من مرى الناقة إذا مسح ضرعها ليخرج لبنها وتدر به فشبه به
الجدال لأن كلا من المتجادلين يطلب الوقوف على ما عند الآخر ليلزمه
الحجة ، فكأنه يستخرج دره » وقرأ على كرم الله وجهه وابن عباس
وحمزة والكسائي وخلف (أفتمرونه) بفتح التاء وسكون اليم مضارع
مريت أي جمحت وأنكرت قال الشاعر :

لئن هجرت أخا صدق ومكرمة لقد مريت أخا ما كان يمرىكا
والآية توبيخ وإنكار للذين يمارون فيما أبصره الرسول من صورة
جبريل الحقيقية (ولقد رآه) على نفس الصورة التي خلقه الله عليها
(نزلة أخرى) أي مرة ثانية ، والنزلة واحدة النزول والمرة منه ، ولهذا
جاءت على صيغة الوحدة وأصلها مصدر نزل ينزل وتقلت من المصدرية
إلى الظرفية لشدة اتصالها بالزمان وقال الحوفي أنها باقية على المصدرية
منسوبة عليها للحال المقدر هكذا « ولقد رآه نازلا نزلة أخرى » وذلك
ليلة الأسراء والمعراج (عند سدرة المنتهى) والمشهور أنها شجرة نبق عن
يمين العرش في السماء السابعة وثمرها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان
الفيلة ، وقيل لها سدرة المنتهى لما روى أن إليها ينتهى علم الملائكة
ولم يتعدا جبريل عليه السلام قائلا « وما منا إلا له مقام معلوم » .

وقال صاحب الكشف « إن شجرة المنتهى قائمة في نهاية الجنة
وآخرها » ، وقال غيره « كونها سدرة على سبيل الجواز لأنها تجتمع عندها
الملائكة كما يجتمع الناس في ظل السدرة على هذه الأرض » ولا مانع

عندى من إطلاق السدرة عليها كما أطلقه الله صراحة بل هو الحق والأظهر ، واستبعد بعضهم أن ينبت في السماء نبات لاحتياجه إلى الماء والتربة والهواء والغذاء ، وهذا استبعاد باطل كما ذكر الألوسى وكما ذكر الله حيث قال (عندها جنة المأوى) ، فهذه السدرة في بقعة طيبة ، ودائرة خصبة ، بها جنة ذات أشجار وثمار ، وظلال وأزهار ، وهواء وأنهار . يأوى إليها المتقون يوم القيامة . وقال قتادة تأوى إليها أرواح الشهداء وليست بالتى وعد المتقون . وقال غيره تأوى إليها الملائكة . وقد استدلل بهذه الآية من قال إن الجنة في السماء . ولكن علياً كرم الله وجهه ، وأبا هريرة ، وابن الزبير ، وأبا الدرداء ، وقتادة ، ومحمد بن كعب قرأ جميعهم « جنة المأوى » بهاء الضمير لا بتاء التأنيث . وبفعل المضى لا بالاسم المضاف . وأجازت السيدة عائشة هذه القراءة . وجنه أى ستره . والمعنى أن عند السدرة ستره الله . بجميل صنعه . وفيض جوده وكرمه . أو ستره المأوى بظلاله وبهائه وأنواره وضيائه . حيث آواه الله إليه . وأدناه من جواره . وعرج به إلى مكان لم يمرح إليه سواه . ولم ير غيره ما رآه . (إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ويغشى السدرة أى يغطيها ويسترها . من الغشيان وهو التغطية والستر . والغاشية ما تغطى وتستر ، وسميت القيامة بالغاشية لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وهمومها . والجمع الغواشى . وجاء الغشيان بمعنى الاتيان ، فيقال « هو يغشى المجالس » أى يأتياها ،

والمقام يناسبه الإطلاق الأول ، وأبهم ما يغشى السدرة كما أبهم في قوله تعالى « فغشاها ما غشى » وقوله تعالى أيضا « فغشاهم من اليم ما غشاهم » للمعنى نفسه الذى بيناه فى أبهام « فأوحى إلى عبده ما وحي » وهو وهو التعظيم والتفخيم ، لتذهب العقول كل مذهب فى تحديده وتقديره فلا تقدر ؛ فكأن الذى غشاها أمر لا تدركه الظنون ، ولا تبلغه الأفهام ، ولا يحيط به نطاق الكلام ولا تسمعه العقول والأذهان ؛ وعن الحسن « غشيا نور رب العزة جل شأنه فاستنارت » وروى عن أبى هريرة « يغشاها نور الخلاق سبحانه » : وعن ابن عباس « غشيا رب العزة عز وجل » وعد ذلك من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم . وقال سلمة « استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا إلى النبي ﷺ فأذن لهم : فغشيت الملائكة السدرة لينظروا إليه عليه الصلاة والسلام » وروى ذلك ابن حميد ، وقيل يغشاها رفرف من طير أخضر ؛ إلى غير ذلك من الأقوال والآراء التى حاول بها أصحابها أن يفكوا حصار الأبهام أو يفضوا ختام الأجمال فألقى كل بسهمه ، وأورى كل قدح زنده ، ولكن هيهات هيهات « سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » أطلعت رسولك على مكنون علمك ، ومكتوم سرك وخفايا غيبك وأبصرته عجائبك وأريته غرائبك فما مال بصره ولا كل ؛ ولا ضعف ولا مل ؛ ولا اضطرب ولا تحول ؛ وما تجاوز ولا زل .

« ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى »
« يقال » ما زاغ البصر أي ما مال ولا تحول ، ويقال « ما طغى » أي
ما تجاوز الحد المقدر له ، والمعنى على ذلك ، ما مال بصر رسول الله ﷺ
عما رآه ولا تحول عنه إلى غيره وما تجاوزه ولا تعداه ، بل كان ثابتاً في
نظرته ، مستقيماً في حالته ، معتدلاً في رؤيته ، وهذا ومبعد للريب ، ناف
للشك ، مؤكداً لما جاء به ، ومن كان هذا شأنه فهو صادق الحس يجب
أن يصدق فيما أخبر أنه رآه ، وأن يوثق بما حدث أنه أبصره .

(لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ، صدرت هذه الآية بلام
القسم وحرف التحقيق ، تأكيداً لما ورد فيها من معنى يجب التصديق
به ، وتقدير ذلك والله لقد أبصر محمد ﷺ الآيات الكبرى من آيات
الله تعالى وعجائب ملكوته العظمى ليلة المعراج ، ومن في الآية صلة
فقد رأى ﷺ الآيات الكبرى جميعها ، وهذا هو المناسب للتكريم
والتعظيم على أبلغ وجه وأكمله ، وهو على رأى من يميز زيادة (من)
في حالة الاثبات والنفي على السواء .

وأما من لا يميز زيادتها في الاثبات كما هنا فيرى أن الرسول
لم يبصر في عروجه إلا بعض آيات الله الكبرى ، وقد وردت
الأحاديث معينة ما رآه من هذه الآيات ، فقد روى البخاري عن
ابن مسعود أنه قال في الآية « رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سد
الأفق » ، وروي أيضاً عن ابن زيد « رأى جبريل في الصورة التي هو بها »

وروى عن الحسن أنه عليه السلام رأى ربه عز وجل . وكان رضى الله عنه يحلف الأيمان بالله تعالى على ذلك ويقول « والله لقد رأى محمد عليه السلام ربه » ووافقه ما رواه البخاري عن أنس رضى الله عنهما أنه عليه السلام جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة « وأثبت الرؤية ابن عباس وغيره . وخانفت عائشة فنفت الرؤية . أخرج مسلم عن مسروق قال كنت عند عائشة فقالت (من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) وشاع عنها ذلك حتى نفت الرؤية مطلقاً وقال أبو ذر رأي به ولكن بقلبه وفؤاده « ما كذب الفؤاد ما رأى » الآيات . والصوفية يقولون بالرؤية القلبية والبصرية وقالوا مازاغ البصر وما طغى مما التفت إلى الجنة وزخرفها ولا إلى الجحيم وزفرتها بل كان شاخصاً إلى الحق وما طغى عن الصراط المستقيم . وقال السهروردي « مازاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة . وما طغى فلم يسبقها ولم يتعد مقامه » وقال التستري فيها « لم يرجع الرسول إلى شاهد نفسه ولا ولا إلى مشاهدتها . وإنما كان شاهداً لربه تعالى .

والاختار ثبوت الرؤية لتضافر النصوص العقلية والنقلية كما قال الأستاذ الامام محمد عبده في رسالته . وذلك على الاجمال والتفصيل متروك لمن شاهد ورأى . والمحذور هو القول بها على وجه يوجب التشبيه . ويتنافى مع التنزيه « سبحانه ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين » .

(المعراج في القرآن الكريم)

(٢)

(اتركبن دليلاً عن طبق فما لهم لا يؤمنون)

استدل القائلون بأن المعراج ثابت بالقرآن الكريم ؛ بآيات النجم السابقة ؛ معيدين بعض ضماؤها إلى النبي ﷺ حال عروجه على نحو ما رأيت كما استدلو أيضاً بهذه الآية من (سورة الانشقاق) وهي أيضاً مكية

وجاءت أفعالها بصيغة المضارعة مبدوءة بلام القسم . فهي تفيد البشرية بالمعراج قبل حصوله . ولسكنها بشري من الله الذي لا يخلف وعده ولا تبديل لكلماته فدلوا واقع الاحالة . وقرىء (لتركبن) بفتح الباء أى لتعلنون يا محمد سماء ؛ بعد سماء

ومن القائلين بهذا ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما والطبق يجمع على طباق وقد خلق الله السموات سبعاً طباقاً : بعضها فوق بعض ؛ وركوبها الصعود عليها ، والعروج فيها .

الأسراء والمعراج في الحديث الشريف

قد جاء في أحاديث رسول الله ﷺ ذكر الأسراء والمعراج بتفصيل جمع أطراف الموضوع ، وما أجملته رواية فصلته رواية أو روايات أخرى ، وقد استفاضت هذه الأحاديث استفاضة كبيرة في الأمة الإسلامية ، حتى لم يعد أمرها خافياً على باحث أو مطلع ، وقد تناولتها الأجيال من قديم فأسلمتها إلى من يليها رواية وسماعاً ، حتى كادت تبلغ درجة التواتر ، وبعض الروايات التي تناولت الأسراء والمعراج . وبخاصة روايات البخاري ومسلم ، قد استفاضت وتواترت حتى لم يعد لمنكر مطمع . ولا لمناول مغمز .

وهاهي كتب التاريخ الإسلامي . وكتب الحديث النبوي . التي اعتنى مؤلفوها بحياة النبي ﷺ . قد حفظت الكثير من وقائع هاتين الرحلتين . بل قد استوعبت استيعاباً تاماً ما جرى فيها . فلم تترك شاردة أو واردة .

وقد روى أحاديث الأسراء والمعراج عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه جمع كبير من صحابته . وفيهم الرجال . ومنهم النساء . وقد بلغ مجموعهم في — رأي بعض علماء الحديث — بضعاً وثلاثين . وروى آخرون أن عدة من روى أحاديث الأسراء والمعراج من الصحابة عن رسول الله ﷺ خمسة وأربعون .

وإذا أضفنا إلى ما تقدم من العدد من مسمع ولم يرو — وهذا أمر غير مشكوك فيه عادة — أدركنا في وضوح مبلغ اليقين والصدق في هذه الروايات على درجاتها وتفاوتها . وأدركنا أيضاً مقدار الدراية والعلم باستغاضة هذه الأحاديث في الأمة . وأنها سمعها جمع ونقلها جمع . وكلهم لا يؤمن تواطؤهم على الكذب . فالصحابه عدول . وهم كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم . ومن أخذ عنهم من التابعين لامطعن فيهم وتاريخ الرجال شاهد بتوثيقهم . وأنا لا نود الأفاضة في تفصيل هذا الاجمال . تاركين ذلك إلى مانحن بصدده من إيراد الأحاديث والآثار التي حفلت بذكر الأسراء والمعراج لنتبين من خلالها . الأسراء والمعراج في الحديث الشريف وهو موضوع هذا الفصل .

جاء في صحيح البخاري حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسرى قال : « بينما أنا في الحطيم ^(١) — وربما قال في الحجر ^(٢) — مضطجماً إذ أتاني آت فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي . ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة أيماناً . فغسل قلبي ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فحملت عليه . فانطلق بي جبريل حتى أتى

(١) الحطيم ما بين البيت ومقام إبراهيم وسمي بهذا لأنه حطم عن مساواة البيت . أو تحطم عنده الذنوب .

(٢) الحجر ملاصق للبيت وسمي بهذا الاسم لأنه حجر عليه بجدار قصير .

السما الدنيا . فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل : قيل ومن معك ؟ قال محمد : قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ؛ ففتح فلما خلصت ، فاذا فيها آدم ، فقال هذا أبوك آدم ، فسلم عليه فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى السماء الثانية . فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل إليه . قال نعم . قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . ففتح فلما خلصت اذا يعحي وعيسى وهما ابنا خالة . قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى السماء الثالثة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل إليه . قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت اذا يوسف ، قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ، قال محمد ، قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فاذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ﷺ ، قيل

وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا هرون . قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد ؛ قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ؛ فلما خلصت فإذا موسى . قال هذا موسى فسلم عليه ؛ فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بكى . قيل له ما يبكيك ؟ قال أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى ؛ ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل ؛ قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد ؛ قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، قال مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك فسلم عليه ، قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفعت إلى سدة المنتهى ؛ فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران . فقلت ما هذان يا جبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفع لى البيت المعمور — زاد الكشميهنى يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودا — ثم أتيت باناء من خمر وأناء من لبن وأناء من عسل . فأخذت اللبن ، فقيل هى الفطرة

التي أنت عليها وأمتك ؛ ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى ؛ فقال « بم أمرت » ؟ قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم ؛ قال « إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك . وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ، قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وأني قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال : سألت ربي حتى استحييت . ولكن أرضى وأسلم فلما جاوزت ناداني مناد « أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي » هـامش شرح البخاري لابن حجر ج ٧ من ص ١٤٠ إلى ١٥٤ .

✱ ✱ ✱

وفي صحيح البخاري عن أنس ابن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم . ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ .

حكمة وإيماناً فأفرغه في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح . قال من هذا ؟ قال جبريل . قال هل معك أحد ؟ قال نعم معى محمد ﷺ فقال أرسل إليه ؟ قال نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة . إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى . فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل من هذا ؟ قال آدام وهذه الأسودة عن يمينه وشماله تسم بنيه فأهل اليمن منهم أهل الجنة . والأسودة التي عن شماله أهل النار . فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى . حتى عرج بي إلى السماء الثانية . فقال لخازنها افتح . فقال له خازنها مثل ما قال الأول . ففتح . قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدام وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ولم يثبت كيف منازلهم . غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة . قال أنس فلما مر جبريل بالنبي ﷺ بأدريس قال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح . فقلت من هذا ؟ قال هذا إدريس ثم مررت بموسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح . قلت من هذا ؟ قال هذا موسى . ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . فقلت من هذا ؟ قال هذا عيسى ، ثم مررت بإبراهيم ، فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ؛ قلت من هذا ؟ قال هذا إبراهيم ﷺ —

ثم عرج بي ، حتى ظهرت لمستوي أسمع فيه صريف الأقلام
ففرض الله على أمتي خمسين صلاة — فرجعت بذلك حتى
صررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت فرض
خمسين صلاة قل فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعني
فوضع شطرها فرجعت إلى موسى ، قلت وضع شطرها ؛ قال راجع ربك
فإن أمتك لا تطيق فراجعته فوضع شطرها ، فرجعت إليه ، فقال
ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته ، فقال هن خمس
وهن خمسون لا يبدل القول لدى ، فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك
فقلت استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدة المنتهي ،
وغشيتها ألوان ما أدرى ما هي . ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ
وإذا ترابها المسك .

هامش فتح الباري لابن حجر (باب كيف فرضت الصلاة
في الاسراء) .

وروى الامام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أنه رضي الله عنه قال :
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهي طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة
بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين . ثم
خرجت فجاءني جبريل بأثناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، قال
جبريل أصبت الفطرة ، قال ثم عرج بي إلى السماء فاستفتح جبريل ،

فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ، ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بي إلى السماء الثانية ؛ فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ فقال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قال وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا ؛ فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ؛ فاستفتح جبريل ؛ فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال محمد ؛ فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه .

ففتح لنا ، فاذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال محمد ؛ فقيل وقد بعث إليه ، قال قد بعث إليه ، فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال محمد ، فقال وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد ، فقيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا ، فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال جبريل

فقيل ومن معك ؟ فقال محمد ، فقيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه
ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى أبيت العمور وإذا هو يدخله
كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدره
المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال . فلما غشيها من أمر
الله ما غشيها تغيرت ما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها ،
قال فأوحى الله إلي ما أوحى . وفرض على في كل يوم وليلة خمسين
صلاة . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى . فقال ما فرض ربك على أمتك ؟
قلت خمسين صلاة كل يوم وليلة . قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
فإن أمتك لا تطيق ذلك . وأنى قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم . قال
فرجعت إلى ربي فقلت أى ربي ؟ خفف عن أمتي . فخط عنى خمسا .
فرجعت إلى موسى . قال ما فعلت ؟ قال قد حط عنى خمسا . قال إن
أمتك لا تطيق ذلك . فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال
فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال
يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر ، فتلك
خمسون صلاة . ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت
له عشرة . ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب . فان عملها كتبت له سيئة
واحدة . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال ارجع إلى ربك
فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك . فقلت قد رجعت إلى
ربي حتى استحييت » ج ١ ص ٦٦ ، ٦٧ من فتح الباري .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (أتى بفرس يجعل كل خطوة معه أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعمئة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه ، ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت غادت كما كانت ولا يتر عنهم من ذلك شيء ، قال يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين تناقلت رؤسهم عن الصلاة ؛ ثم أتى على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع ^(١) والزقوم ^(٢) ورضف ^(٣) جهنم ، قال ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله ، وما الله بظلام للعبيد) رواه البزار ، الترغيب والترهيب ص ٢٦٩ ج ١ وفي مسند الحافظ البيهقي والطبراني وأبي يعلى عن أبي هريرة : أنه عليه السلام مر ليلة أسرى به على قوم يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان ؛ فقال لجبريل ما هذا ؟ قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات سبعمئة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ، ثم أتى على قوم ترضخ (تشدخ) رؤسهم بالصخر كلما رضخت غادت كما كانت ولا يفتقر عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل ؛ قال هؤلاء الذين

(١) الشوك اليابس (٢) شجر بالجحيم (٣) حجارة محماة .

لا يؤدون زكاة أموالهم » وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .
ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ، ولحم نىء فى قدر ؟
فجعلوا يأكلون من النىء الخبيث ويدعون النضيج . فقال ما هؤلاء .
يا جبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب
فيأتى امرأة خبيثة . فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند
زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح .

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد
عليها . قال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده
أمانات الناس لا يقدر على أداؤها . وهو يريد أن يحمل عليها .
ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما
قرضت عادت . لا يفتر عنهم من ذلك شىء . قال ما هذا يا جبريل ؟
قال هؤلاء خطباء الفتنة الذين يقولون مالا يفعلون .

ثم أتى على جحر صغير يخرج من ثور عظيم . فجعل الثور يريد أن
يرجع من حيث خرج فلا يستطيع . فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا
الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها «
أقول » هذا تصوير وتمثيل لجمال الفضيلة وحسنها . حتى تنزع
النفوس إليها . وترغب فى التمسك بها . وهو أيضاً تمثيل لقبح الرذيلة
وسوءها . لتنفّر منها النفس وترغب عنها ، فليس ذلك من قبيل الحقيقة
وإنما هو من قبيل تصوير المعاني وإبرازها فى أشكال حسية على سبيل

التقريب ، للتنفير أو الترغيب . وهو من وسائل الإيضاح في التربية والتعليم .

وليس هذا التأويل من اجتهادنا ، وإنما هو قول الرسول ﷺ يقول « لقد مثل لي فرأيت ليلة أُسرى بي قوما يزعمون » الخ كما جاء في إحدى الروايات عنه « مثل لي النبيون عليهم الصلاة والسلام »^(١) وبهذا يندفع ما تذرعه به قوم إلى إنكار تلك الأشياء ثم إلى إنكار الأسراء جملة ، ولنعهد إلى ما كنا فيه من بيان الأسراء والمعراج في الحديث الشريف .

روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس « لما أتى النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي فاذا النبيون أجمعون يصلون معه » وفي رواية أخذ جبريل بيده ﷺ فقدمه فصلى بهم ركعتين ، ثم قال جبريل يا محمد أتدري من صلى خافك ؟ قال لا ، قال كل نبي بعثه الله تعالى فشرع يقول « الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة الناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل على القرآن فيه تبيان لكل شيء ، وجعل أمتي خیر أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتي وسطاً ، وشرح لي صدري ووضعت عني وزري ؛ ورفع لي ذكري ، وجعاني فاتحاً خاتماً » .

(١) وفي رواية أنه أتى على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شيء إلا خرقة ، فقال ما هذه يا جبريل ؟ قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » .

وقال البخارى فى صحيحه « قال أبوهريرة أتى رسول الله ﷺ ليلة أسرى به بأيليا ^(١) بقدهين من خمرولين فنظر إليهما فأخذ اللبن ؛ قال جبريل الحمد لله الذى هـداك للفطرة لو أخذت الخمر غوت أمتك »

ح ٨ ص ٢٧٣

وروى الحاكم فى المستدرک عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى ربي عز وجل » وروى البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التى أربناك إلا فتنة للناس » قال « هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس » ويخالف ما جاء فى هذا الحديث ما رواه البخارى عن مسروق ، (قلت لعائشة رضى الله عنها « يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه » فقالت « لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثك عن فقد كذب : من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب » . ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا » ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين .

(أقول) قد سبقت لنا الأجابة عن مثل هذا وفوق ذلك فإن ابن عباس مثبت وعائشة نافية « والمثبت مقدم على النافي » .

وحدث البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما « أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا كذبنى قریش (حين أسرى بى إلى بيت المقدس) قت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » ج ٧ ص ١٣٨ ، ١٣٩ وما بين القوسين زيادة رواها يعقوب بن ابراهيم .

وروي مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد رأيتنى فى الحجر وقریش تسألنى عن مسراي فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كرباً لم أ كرب مثله قط ، فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به فأمن من آمن^(١) وأنكر من أنكر^(٢) »

(١) كأبى بكر الصديق رضى الله عنه (٢) كأبى جهل والمطعم بن

عدي وكثير من الذين ارتدوا

كيف كان الاسراء والمعراج

موضوع هذا الفصل بيان الحال التي كان عليها النبي ﷺ في وقت الاسراء والمعراج . هل كان في يقظة أو في منام ؟ وهل كان الاسراء والمعراج بالجسد والروح ؟ أو كان بالروح فقط ؟ وفي هذا الفصل نبسط لك أطراف البحث لتلم بهذا الموضوع الذي أثار الجدل قديماً وحديثاً . ولتقف على ما هو الصواب . ذهب الجمهور من المسلمين وعلى رأسهم أهل السنة « الأشاعرة والماتريدية » إلى أن الاسراء والمعراج كانا بالجسد والروح إبان يقظته ﷺ وقد أيد هذا القول الامام الطبري في تفسيره (ج ١٥ ص ١٣) بكثير من الأدلة واحتج له بكثير من الحجج . وتعصب له . وتعجب من المخالفين .

وقال الواحدى « إنهما كانا في يقظة . والأخبار الواردة عن شريك وغيره التي تشعر بالخلاف غير صحيحة » .

وقال الامام النووي « ما وقع في رواية عن شريك جاء فيها قوله . « وهو نائم » وفي أخرى « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان » قد يحتج بها من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك أول وصول الملك إليه ثم كان صحوه بعد ذلك ، وليس في الحديث ما يدل على كونه ﷺ نائماً في القصة كلها . حتى يلزم منه ما ذهب إليه المخالف » . وقال نجم الدين عمر النسفي صاحب العقائد النفسية « والمعراج لرسول

الله ﷻ في اليقظة بشخصه إلى السماء ثم إلى ما شاء الله تعالى من
العلي حق .

وقال شارحه سعد الدين التفتازي في (ص ٤٧٢) حق ثابت بالخبر
المشهور حتى إن منكره يكون مبتدعا . وعده صاحب « الجوهرة » من
المعجزات المؤيدة لنبوته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه فقال
ومعجزاته كثيرة غرر منها كلام الله ومعجز البشر
واجزام بمعراج النبي كما رووا وبرئن لعائشة مما رووا
وقال « عبد السلام اللقاني » في شرحه عليها « والكتاب والسنة
وإجماع القرن الثاني من الأمة ومن بعدهم على أن الاسراء يقظة بالجسم
والروح » وأيده في ذلك العلامة الأمير في حاشيته (ص ١٠٨) وقال
اللقاني « ثم ثبت عروجه إلى السماء يقظة بالجسد والروح كما هو ظاهر
الأحاديث المشهورة . ومن السماء إلى الجنة ثم إلى المستوى أو العرش أو
طرف العالم بنجر الواحد ، وهو أمر ممكن أخبر به الصادق . وكل ما هو
كذلك فهو حق . وحكمه مطابق . ولا يلزم من فرض وقوعه محال » .
واستدل الجمهور على صحة رأيهم هذا بعدة استدلالات أشهرها .
أن ظاهر الأحاديث والآيات التي جاءت في الاسراء والمعراج يدل على
أنهما كانا بالروح والجسد ولا تخصيص لأمر دون غيره إلا بمخصص .
وأنه لو لم يكن الاسراء والمعراج بالجسد والروح لما صح أن يكون
كلاهما دليلا على النبوة ، أو معجزة للبشر عند التحدي فان الانسان في

منامه يرى أنه قد انتقل إلى أقصى المغرب بينما هو في المشرق ، وذلك في لحظة يسيرة من الزمن . وهذا كثيرا ما يحصل للنائم عادة . مع أن الاسراء والمعراج معجزة أجراها الله على يدي رسوله ليؤيده بها .

واحتج الجمهور كذلك بقوله تعالى : « سبحانه الذي أسرى بعبده » والاجماع على أن المراد بالعبد محمد . والعبد لا يقال على الروح وحدها ، وإنما يقال على الانسان باعتباره كائنا مركبا من الجسد والروح ، وقد جاءت تسميته صلى الله عليه وسلم عبداً في آية المعراج أيضا حيث قال تعالى « فأوحى إلى عبده ما أوحى » مما يؤخذ منه أن الاسراء والمعراج كانا على حالة واحدة ، وصفه واحدة ، وكيفية واحدة « أى بالجسم والروح معا » ولو كان بالروح وحدها لقال تعالى « سبحانه الذي أسرى بروح عبده » .

ورابع استدلالهم قولهم . إن البراق لا تحمل عليه الأرواح وحدها وكذلك المعراج فهو ذو درج تتخطاها الأجساد لارواح الرسول وحدها فلو كان الاسراء والعروج للروح وحدها لما كان هناك حاجة للبراق والمعراج ، أما وقد نصت الأحاديث على أن الاسراء كان فيه الرسول راكبا البراق ، وعلى أن العروج كان فيه يرقى الرسول إلى السماء بالمعراج . فذلك دال دلالة قوية على أن الاسراء كان بالبدن والروح . وخامس الأدلة : أن الاسراء والمعراج لو كانا بالروح وحدها في حالة النوم لما كان هناك خلاف ولا معارضة من المشركين ، ولا ارتداد من

المسلمين . ولا تعجب من قريش التي حكمت باستحالته وعدم إمكانه ؛
فالبداهة قاضية بأن النائم لا ينكر عليه دعوى صعوده السماء في رؤياه
ولا يجهل ذلك إلا مكابر أغفل عقله . فمعارضة قريش ؛ وإنكارها
أمر الأسراء والمعراج قاضية بأن الرسول صلوات الله عليه قد أخبرهم
بأن ذلك قد تم له في صحوه لا نومه والرسول صلوات الله وسلامه عليه
أخبر قومه بأمر أسرائه وهو على يقين من أنهم سيدنالونه باللوم والتعنيف
والأنكار والمعارضة ، لما في المعجزات من بعد عن المألوف . وخرق
لناموس الطبيعة . ولو كان الأسراء رؤيا منامية ما قالت له أم هاني لا تحدث
قومك بهذا ولما أخذت بثيابه لتمنعه من الذهاب إليهم خوف إيذائهم له .
ولو كان الأمر أمر رؤيا منامية ما خافت عليه أذى .

وآخر ما استدلوا به أن جبريل عليه السلام أتاه . وشق صدره .
وأخذه بيده . وأسرى به حتى بيت المقدس . ثم عرج به حتى سمع صريف
الأقلام . ورأى من آيات ربه الكبرى فما زاغ البصر وما طغى . وكل
ذلك لا يكون إلا للجسد في حالة اليقظة والشعور المنتبهة .

وقد خالف في ذلك البعض فعن الحسن رضي الله عنه أن الأسراء
والمعراج كانا في المنام وروى القول بذلك أيضا عن السيدة عائشة ومعاوية
ابن أبي سفيان . وحذيفة وقد جاء في كتاب البحر أن نسبة هذا القول
إلى عائشة غير صحيحة . ولعله يشير إلى الحديث المنسوب إليها وهو قولها
« ما فقد جسد محمد عليه السلام ليلة المعراج » وقد تعقب هذا الحديث

علماء الجرح والتعديل فتناولوه بالرد والنقد كما ذكرنا من قبل حين بينا انقطاع سلسلته . ووجود المجهولين فيها . وأكدنا وضعه . وأظهرنا أن أم المؤمنين كانت إبان الأسراء صغيرة ولم تكن زوجاً له بعد .

على أن هذا الحديث على فرض صحته قد أوله علماء الكلام بما يتفق ورأى الجمهور ومن ذلك قاله سعد الدين التفتازاني أن معناه « ما فقد جسده عن الروح حالة المعراج بل كان معروحه . إذ كان المعراج للروح والجسد جميعاً » . وقال الامام العصام في حاشيته « وبعضهم حمل قول عائشة رضى الله عنها على معراج آخر . وجمع بين كلام عائشة وغيره بتجويز تعدد المعراج . وأما ما قاله بعض متأخري أصحاب السير والتاريخ أن كلام عائشة مردود لأنها كانت في زمن المعراج صغيرة ولم تحققه — والحسن كان لم يوجد بعد — ومعاوية كان لم يسلم فلم يعرفه . فليس بشيء ولا ينبغي أن يصغي إليه لأن عائشة رضى الله تعالى عنها مع حرصها في معرفة أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم يبعد كمال البعد أن تقنع بمعرفة أيام صغرها ولا تحققها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية مع طول عهده في الاسلام » .

وأجاب الخليلي عن عائشة بمثل هذا فقال « والأولى أن يجاب بأن المعراج كان مكرراً مرة بشخصه ومرة برحله ، وقول عائشة رضى الله عنها حكاية عن الثانية » .

وقال عبد الحكيم وهذا الجواب أولى لأنه قد وقع في بعض الروايات

« ما قد جسد محمد ليلة المعراج عن مشاهدة » : ولا يخفى أن الجواب الذى ذكره سعد الدين لا يتم على هذه الرواية . بخلاف هذا الجواب فإنه يتم على كلتا الروايتين . فكان أولى . ولأنه ليس على هذا الجواب صرف الحديث عن الظاهر المتبادر إلى الفهم . هذا لكن القول بتعددتها من غير نص يدل عليه لا يخلو عن إشكال .

وعلى هذا القول الجامع سارت طائفة . تذهب إلى تصديق كل من القائلين بأنهما كانا مناماً . والقائلين بأنهما كانا يقظة : ومنهم القاضى أبو بكر الباقلانى من أهل السنة « الأشاعرة » والأمام البغوى من رجال الحديث . وقالوا إن تصحيح الأحاديث فى ذلك يقتضى أن يكون الإسراء والمعراج قد حدثا مرتين : أحدهما فى نومه ﷺ فأسرى وعرج بروحه . وتوطئة وتيسيراً لما تضعف عنه قوى البشر الجسدية . وإلى الأولى (وهى المنامية) الإشارة بقوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » و « ما كذب الفؤاد ما رأى » .

ثم أسرى وعرج بروحه مع بدنه بعد ذلك . وإليه الإشارة فى قوله « بعبده » وقوله « ما زاغ البصر وما طغى » وقوله « ثم دنى فتدلى » والضمير لمحمد ﷺ

قال صاحب الكشف (وهذا رأى هو الحق . وبه يحصل الجمع بين الأخبار) التى وردت فى هذا الصدد . مثل قول عائشة السابق ، وقول معاوية لما سئل عن المعراج فأجاب « كانت رؤيا صالحة » وقوله تعالى

« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك » أي ببصرك : ومنه قول المتنبي :
ورؤياك أحلى في السـميون من الغمض
وقول الآخر : يصف صائداً

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلباً كان جمّاً بلائله
وهذا هو الرأي الذي اختاره أكثر المحققين . وحكى المازري في شرح
مسلم قولاً جامعاً للقولين السابقين لما بينهما من كبير الخلاف . فقال « كان
الأسراء بجسده ﷺ في اليقظة إلى بيت المقدس فكانت رؤية عين .
ثم أسري بروحه الشريفة منه إلى ما فوقه فكانت رؤيا قلب . ولذلك
شنع الكفار عليه في قوله ﷺ « أتيت بيت المقدس في ليلتي هذه »
ولم يشنعوا عليه فيما سوى ذلك . ولم يتعجبوا منه لأن الرؤيا ليست محل
تعجب » . وهذا القول على وجاهته بعيد عما عليه الأكثرون من المسلمين
وهو أن المعراج كالإسراء في حدوده بالروح والبدن

ويرى بعض المعاصرين كأبي عبد الله الزنجاني : أن الأسراء إنما هو
بالروح وحدها . فهو يقول « والنظر الدقيق يهـدى إلى أن الاسراء كان
بروحه . لأن العقل والنقل لا يقران بأن الشق من جبريل كان لجسـمه
الشريف ولا يشك فيه عاقل . ثم هل يقر العلم والعقل إن الإيمان والعلم .
والحكمة والحلم واليقين والإسلام مما توضع في طست ؟ وهل صفة الغل
تفصل بالماء ؟ وهل هذه الأمور التي ذكرت في ابتداء الأسراء إلا
شواهد بأنه كان بالروح » . (أنظر دائرة المعارف الإسلامية مادة « اسراء »)

والرد على هذا القول من اليسر بمكان . فالعقل والنقل يقران بأن الشق من جبر بل كان لجسمه الشريف . أما عقلا فلأن الشق يقع على الأجسام لا على الأرواح . لأن الروح جوهر بسيط مجرد لا يقبل الانقسام لأنه ليس جسما ولا جزءا من جسم به الحياة ولوازمها . كما هو مقرر في العلم الإلهي أو الفلسفة الأولى . وأما نقلا فللأحداث التي مر بنا ذكرها فقوله « ولا يشك فيه عاقل » غير صحيح اللهم إلا أن يقال . لا يشك فيه عاقل ولكنه يجزم ببطلانه . ألا وقد قال ابن أبي جرة « والحكمة في شق صدره مع القدرة على أن يمتلي قلبه إيمانا وحكمة بغير شق الزيادة في قوة اليقين . لأنه أعطي برؤية شق بطنه وعدم تأثيره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية . فكان أشجع الناس حالا ومقالا . ولذلك وصف بقوله تعالى « مازاغ البصر وما طغى » .

ويرد على قول الأستاذ الزنجاني أيضاً ما أورده أبو البركات أحمد الدردير . إذ قال رضى الله عنه « واستشكل بأن الإيمان والحكمة من الأعراض والمعاني القائمة بمحالتها وهي لا يملأ بها شيء . ولا تفرغ في شيء وأجيب بأنه جعل في الطست شيء أى جسم يحصل به كمال العلم واليقين وبأن تجسد المعاني جائز كما جاء أن سورة البقرة تجي يوم القيامة كأنها الظلة . وكذلك وزن الأعمال والأقوال وغير ذلك »

وأما أن الغل والغضب يذهب الماء فذلك مشاهد معروف . ولهذا جاء في بعض الآثار أن الرجل إذا أخذته ثورة الغضب فليتوضأ فذلك

مذهب لغضبه ، لما للعاه من تأثير طيب على أعضاء الجسم وأعصابه . فلا
يبعد ما جاء في حديث الاسراء من غسل جبريل لقلب الرسول حتى
نزع منه ما كان فيه من أذى .

وبهذا كله يتبين خطأ هذا الرأي ومجافاة أسانيده للصواب .



وبرى الفيلسوف الشيرازى صدر الدين محمد بن ابراهيم في كتابه
« مفاتيح الغيب » أن مارآه الرسول في إسرائه ومعرجه إنما هو من
قبيل الكشف الروحى وسماه شهوداً روحياً . وأفاض في تفصيل هذا
النوع على ما عده من أنواع الادراك والمعرفة . وصنع هذا الفيلسوف
بعلن أنه من القائلين بأن الاسراء والمعراج كان بالروح دون الجسد
« مفاتيح الغيب . المفتاح الرابع لصدر الدين الشيرازى »



ونحن وإن كنا ندرك تماماً تلك الروح الطيبة التى حدث بفيلسوفنا
وغيره من فلاسفة الاسلام إلى القول بالأسراء الروحانى وأنكار الجسمانى
إلا أننا لايسعنا إلا أن نخالفهم في ذلك لما تقدم من الأدلة العقلية والنقلية
من الكتاب والسنة فى الفصول السابقة وفى هذا الفصل أيضاً .

والذى نراه ونختاره هو أن الاسراء والمعراج كانا يقظة بالجسد والروح
فظاهر النصوص تؤيد ذلك والظاهر لا يعدل عنه إلا بدليل يمنع أن
يكون مراداً . ولا مانع هناك . كما أنه لا يوجد فى نظرنا ما يوجب

التفرقة بين الأسراء والمعراج حتى يكون الأول بالبدن والروح والثاني بالروح فقط كما قال البعض . فقد كانا في ليلة واحدة ، كما هو المعتمد والمختار . وقد بدأ المعراج من حيث انتهى الأسراء فهل بقي جسد سيدنا محمد ﷺ بيت المقدس وصعدت روحه عارجة إلى السموات ثم عادت إليه وهو جسد بلا روح ؟ هذا في غاية البعد لمن يتأمل الأمر على هذا الوضع .

وإذا أضفنا إلى كونهما في ليلة واحدة . أن غايتهما وحكتهما واحدة تبين لنا عدم التفرقة بينهما في وضوح فقد بين الله غاية الأسراء بقوله « لنريه من آياتنا » وبين غاية العروج بقوله « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

وفي هذا إشارة كافية إلى اتحاد الكيفية ، بعد اتحاد الزمان . واتحاد العلة الغائية . وإن كانت الرحلة الأولى أرضية . والثانية سماوية .

وهذا الرأي الذي اخترته هو ما عليه جمهور السلف الصالح : من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام من رجال الدين . فهو قول أنس بن مالك وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن مسعود وأبي هريرة وحذيفة وأبي حبة البدرى وجابر ؛ من الصحابة وعليه من التابعين ابن المسيب والنخعي وابن جبير والزهرى وعكرمة ومسروق بن الأجدع .

وعليه من المتكلمين الأمام الأشعري والأمام الغزالي وغيرهما من المحققين

الرد على الشبه الواردة على الاسراء والمعراج

(١)

كتب المستشرق « شريك » فصلا عن الأسراء ؛ في دائرة المعارف
الاسلامية . (المجلد الثاني ص ١٠٦) جاء فيه ما يأتي « جميع التفاسير
المتأخرة تفسر المسجد الأقصى ببيت المقدس وليس هناك سبب ظاهر
لهذا التفسير . ويظهر أن هذا التفسير أوحى به سياسة الأمويين التي
رمت إلى تعظيم بيت المقدس . على حساب مكة ؛ التي يحكمها حينذاك
عبد الله بن الزبير » .

وصدوره في ذلك جولد تسيهر .

يوجد من المستشرقين من يكيد الاسلام والمسلمين بتشويه الحقائق الدينية
وتلبيس الآراء ؛ وتلفيق الأقوال . ولعل « شريك » وجولد تسيهر من
هذا الصنف . وإلا فما هذا القول الذي ينكره الحق الواضح . في
الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي مرت بك ، فقد جاء فيها أن الاسراء
ابتدأ من المسجد الحرام وانتهى إلى بيت المقدس ، أو أيليا وهو اسم آخر
لبيت المقدس ، كما في رواية الامام مسلم عن أنس بن مالك . وقد تقدمت ،
وكما في رواية الامام البخاري عن أبي هريرة وقدمت بك أيضا (ج ٨

ص ٢٧٣: من فتح الباري) أو عن جابر بن عبد الله (ج ٧ ص ١٣٨)
وفي هذه الأحاديث يسمى الرسول — نفسه — المسجد الأقصى
بيت المقدس ، فكيف يكون ذلك من الأمور التي ليس لها سبب ظاهر ؟
وكيف يكون المفسرون المتأخرون متأثرين في ذلك بما أوحى به سياسة
الأمويين — التي رمت إلى تعظيم بيت المقدس على حساب مكة ؟
لأن بيت المقدس بالشام الذي فيه ملكهم . ومكة يحكمها عبد الله بن
الزبير خصمهم — كيف يكون المفسرون متأثرين بذلك ولا يكونون
قد أخذوا هذا التفسير من أحاديث الرسول المستفيضة ؟

وأغرب من هذا أن « شريك » يفسر عبارة (المسجد الأقصى)
بالسما مدعياً أن أقدم الروايات قد فسرتها بذلك .
اللهم إنه خلط للفتنة ؛ وخبط في الدين (بغير علم ولا هـدى
ولا كتاب منير) .

ولو صح ما يقوله شريك أو أخذ على ظاهره لكان معناه أن الاسراء
إلى بيت المقدس قصة من صنع بني أمية ؛ وكفى بذلك ضلالاً وإضللاً
ولكن ها هو الحق الأبلج يتألق نوره من بين ثنايا حديث رسول
الله الأكرم . محمد ﷺ . الذي بعثه الله ليبين للناس ما نزل إليهم .
وليفصل لهم ما أجمل من آيات الله والحكمة :

(٢)

وقال شريك أيضاً في (ص ١٠٨) « وتشبهه مقابلة النبي لهؤلاء

الأنبياء في بيت المقدس مقابلة عيسى للأنبياء على جبل تابور بالشام
وربما نسجت على منوالها .
ومصدره في ذلك أيضا جولد تسيهر .

هنا صرح الشر . وبان السرار . وبدا لذي عينين كيف أن هذين
المستشرقين ومن على شاكلتهما يرمون الاسلام بما هو منه براء ؛ ويتخذون
من الزور الذي بدلوا به آيات الله كذبا وبهتاناً ، ما يطعنون به الدين
الاسلامى . ويصورون أن بعض الأحاديث الصحيحة ، ما هي إلا
نسج على منوال الأناجيل .

وأبلغ كلمة في هذا المقام (رمتنى بدائها وانسلت) .
فبدلاً من أن يقول شريك وصاحبه : إن قصة تابور ربما تكون قد
نسجت على منوال صلاة النبي محمد ﷺ بالأنبياء لما حصل في الأناجيل
من تبديل وتحريف عكس الواقع .



ولو سلمنا جدلاً أن قصة عيسى على جبل تابور صحيحة . كقصة
سيدنا محمد في صلاته ببيت المقدس مع الأنبياء . لما كان في ذلك ما
يدعو إلى الشك والريبة . فكثيراً ما تحدث المواقف المتماثلة مع تغاير
أصحابها . ويتكرر ذلك كل يوم في مجرى الحياة العادية ألف مرة ومرة .
ولكنه الكيد للاسلام . والافتراء عليه بما ليس فيه .

ولو صح ما يقول « شريك » من أن قصة الصلاة بالأنبياء في بيت

المقدس نسجت على منوال ماجاء في الأناجيل ؛ لكان معناه أيضاً أن الاسراء قصة لم تحدث وقائعها . وإنما هي من صنع المؤلفين ونسج الكاتبين (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) .

(٣)

أنكر بعض الملاحدة ومن لف لفهم . أن يكون الرسول ﷺ قد رأى أربعة أنهار تخرج من أصل سدرة المنتهى ؛ وأن من هذه الأربعة النيل والفرات . فإن منابع هذين النهرين في الأرض معروفة مشاهدة ؛ فالنيل من بحيرات خط الاستواء . والفرات من جبال أرمينية . وأنى قبل أن أرد على هذا الإنكار . أورد قول الرسول ﷺ « ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبعها مثل قلال هجر . وإذا أوراقها مثل آذان القيلة . وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران . فقلت ما هذان يا جبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات » .

البخارى ج ٧ من ص ١٥٠ إلى ١٥١ .

وجاء في أحاديث أخرى رواها مسلم وغيره من علماء الحديث الموثوق بهم ما يؤكد ما ذكره البخارى في صحيحه . وإذا فلا شك في صحة الحديث ، من حيث الرواية والسند وقول الرسول ﷺ له .

فلا يجوز الإنكار بادية الرأي دون فحص ونظر ، وبقليل من التفكير والروية فيما نحن بصدده ، يمكنك أن تدرك الصواب والصدق في هذا الحديث .

فما جاء فيه مما يخالف ما تشاهده ، فعلى سبيل التمثيل والتشبيه ، كما يقال في الأمور الأخرى التي رآها النبي ﷺ ، وهو في طريقه إلى بيت المقدس ، من تمثيل مادي ، وصور مختصرة مجسمة لشتى الأعمال والأخلاق .

ويمكن أن يقال أن الله سبحانه مثل له مركز الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب بأصل سدة النهي ، ومثل له السبيل التي سلكته الدعوة الإسلامية ، واطرد فيه سيرها نحو الفرات والنيل فأروت ظمأ القلوب ، وأحيت موات النفوس شرقا وغربا ، كما يفعل الفرات بحوضه والنيل بواديه ، ثم أخذ الفرات يتفرع ، كما أخذ النيل يتشعب ، حتي عم خيرهما وريهما المشرق والمغرب .

وهكذا انتشار الدعوة الإسلامية ، فكانت في أول أمرها حجازية المنبت والذنب ، ثم أخذت طريقها إلى العراق ، وانسابت مع دجلة في سواده وبلادده ، كما أخذت طريقها إلى مصر فتسامت مع النيل بين المدن والقرى ؛ ولم تلبث الدعوة الإسلامية ؛ أن نخطت حدود العراق إلى جدار الصين ، وحدود مصر إلى المحيط الأطلسي ، بسرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا .

أليس هذا تمثيلا مقبولا معقولا ؟ لقد مثل لمن ؟ إنه للرسول محمد ﷺ في إبان محنته ، وتشوفه إلى انتشار دعوته ، وتشوقه للفتح المبين ، والنصر العزيز .

(٤)

ينكر علماء الفلك والجغرافيا أمثال « كوبرنيكس » و « جاليلو » ،
و « كبلر » أن تكون السماء طبقات متفاوتة بعضها فوق بعض . أو أن لها
أبواباً تفتح وتغلق . و أنها جرم يمكن السير عليه أو الحياة فيه ، وليس هذا
القول بمجديد بل سبق به « فيثاغورث » الفيلسوف اليوناني الذي عاش
قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين . وقد استدل هؤلاء مع من يُلحدون
في آيات الله من أبناء الاسلام فأنكروا المعراج . بأن الرصد قد أثبت
بأن الكواكب تدور في فضاء لا مادة به الا هذه الأجرام السيارة أو
الثابتة . وأن أكبر العدسات وأقواها لم تسجل بؤرتها جسمًا ماديًا وراء
هذه السيارات أو الثوابت . فكيف يكون المعراج حقاً ؟ وهكذا .. كذبوا
الله الذي يقول « الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين
ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح »
والذي يقول « إن الذين كفروا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم
أبواب السماء »

وصدقوا « غاليلو » وأحجار العدسات . وأبصارهم الكليّة الخاسئة
الحسيرة . ونظرياتهم الطبيعية القاصرة ، وصدق الله إذ يقول « وما أوتيتهم
من العلم إلا قليلاً »

وإن دعوى هؤلاء الطبيعيين ، الذين لا يؤمنون إلا بما يحسون ،

لا تسلّم لهم إلا بيينة من جنس علومهم المبنية على الحس والشاهدة .
فهل طافوا ونقدوا من أقطار السموات والأرض . وانتهوا إلى نهاية
الكون ولم يجدوا الطباق السبع فأنكروا ؟ أم هي دعوي بدون بيينة
ولا دليل ؛ إلا بيينة العجز ودليل القصور . وكلاهما لا يؤدي إلى جزم
ويقين . فليقولوا إن كانوا منصفين « إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين »
وليتقبلوا كلام رب العالمين . وحديث الصادق الأمين

(٥)

من الناس من أنكر الأسراء والمعراج جملة وتفصيلاً لقصوره في فهم
معنى الألوهية . وقدرتها المطلقة . فجمدت منه عقليته ، ووقفت عند
حد لا تتعداه . وهو أيضاً علامة على قصر النظر والتمسك بالسنن المادية
الطبيعية فيقولون كما يقول علماء الطبيعة ، إن امتداد المسافة من الأرض
إلى نهاية السموات مقدار عظيم يخرج عن العقل تصوره ، فما هو مقدار
السرعة التي بها يتمكن الإنسان من قطع هذه المسافة في فترة وجيزة
من الزمن ، والنور الذي هو أسرع الأشياء يقطع هذه المسافة في أكثر
من هذه المدة ؟ .

ويقولون إن جسم الإنسان مملوء بالسوائل وهي مضغوطة ضغطاً جويًا
على نسب مقدرة تبعاً لاجو الطبيعي ، فإذا ما تجاوز الإنسان منطقة الهواء
الأرضي سالت هذه السوائل من الجسم وتركته وعاءاً فارغاً
ويقولون إن الإنسان لا بقاء له بدون الأكسجين وهو موجود حول

الأرض فاذا فارق الإنسان هذه المنطقة فإنه لا بد هالك ، ويقولون أن لكل كائن حي ، بيئة طبيعية لا يستطيع الحياة في سواها ، فحيوانات البحر لا تعيش في البر ، ونبات الصيف لا ينمو في الشتاء ، وأهل الأرض لا يستطيعون الحياة فوق السماء

إلى غير ذلك من الأقوال المؤدية إلى نتيجة واحدة لا نقرهم عليها . فهي اتباع للمنطق الطبيعي الذي لا يستعان به إلا في الماديات البحتة ، والاقتصار على هذا المنطق أو تحكيمه في كل الأمور مدعاة إلى الخطأ ، فالمكون مؤلف من مادة وغير مادة ، والإنسان مركب من هذين العنصرين ، وآثار روحه وظواهر نفسه معروفة معلومة أصبح لها علم خاص هو « علم النفس » يدرس في جامعات أوروبا وفي معاهد مصر ، وتاريخ البشر مليء بالأمور العجيبة التي لا تستند إلى هذا القانون المادي ، ومن ذلك المعجزات ، وخوارق العادات التي منها الأسراء والمعراج ، وذلك تقدير العزيز الحكيم ، الذي لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم .

وإذا أنكر الأسراء والمعراج بعض المؤمنين بالعلوم الطبيعية في القرنين الماضيين ، فلا يصح أن ينكره العلماء المعاصرون ، وقد شاهدوا الذرة الصغيرة وشدها ، والكهرباء وطاقاتها ، والأثير وقوته ، والمغناطيس وسرعته ، فاخترعوا الراديو ، والتلفزيون ، والبرق ، والرادار ، وزورق الأحلام ، وهو قليل من كثير ستراه الأجيال المقبلة في عصور السرعة

والطفرة ، « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » . .

يا أيها المؤمنون : إن الذي أسرى بمحمد ﷺ من المسجد الحرام بالحجاز إلى بيت المقدس بالشام ، ثم عرج به إلى ما فوق الطباق السبع ، هو الذي سخر الريح لسليمان عليه السلام « تجري بأمره رخاء حيث أصاب » وهو الذي أعطى من عنده علم من الكتاب القدرة على نقل عرش « بلقيس من الشام إلى اليمن » قبل ارتداء الطرف .

وهو الذي أنزل جبريل عليه السلام بالوحي من السماء إلى الأرض في ألمح البصر .

هو الله الذي أمره بين الكاف والنون ، فإذا قال للشيء كن فيكون « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ؛ والحمد لله رب العالمين » .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المرسلين ،
وخاتم النبيين ما

الفهرس

صفحة

٣	مقدمة	٣
٥	معنى كلمة الأسراء والمعراج	٥
٧	زمن الأسراء والمعراج	٧
١٦	الأسراء في القرآن الكريم	١٦
٣٢	المعراج في القرآن الكريم (١)	٣٢
٤٥	د د د د (٢)	٤٥
٤٦	الأسراء والمعراج في الحديث الشريف	٤٦
٦٠	كيف كان الإسراء والمعراج	٦٠
٧٠	الرد على الشبه الواردة على الإسراء والمعراج	٧٠